وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي بالأغواط

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية والحضارة

قسم التاريخ

عنوان

التقليد والتجديد في التدوين التاريخي بين القرنين (5 هـ-9 هـ/ 11 م-15م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تاريخ

تخصص: تاريخ وحضارة المشرق الإسلامي

إعداد الطالبة:

- سارة معروفي

تحت إشراف الدكتور:

- نور الدين مسعودي

الموسم الجامعي: 2023-2024

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي بالأغواط

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية والحضارة

قسم التاريخ

عنوان

التقليد والتجديد في التدوين التاريخي بين القرنين (5 هـ-9 هـ/ 11 م-15م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تاريخ

تخصص: تاريخ وحضارة المشرق الإسلامي

إعداد الطالبة:

- سارة معروفي

تحت إشراف الدكتور:

- نور الدين مسعودي

الموسم الجامعي: 2023-2024

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي تتم بفضله الصالحات

بعد أن وفقني الله تعالى لإتمام هذا العمل أشكره سبحانه وتعالى على ما أنعم عليا وأسأله الفلاح في الدنيا والآخرة، يسعدني أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى كل من قدم لي يد العون والمساعدة طيلة مدة البحث، ويأتي في مقدمتهم أستاذي المشرف الدكتور نور الدين مسعودي على مرافقته لي طوال المشوار العلمي بتوجيهاته وتصويباته لهذا البحث فجزاه الله أجر ما قدم لي.

كما أشكر أستاذي الفاضل والأب الروحي الأستاذ فوزي رمضاني على جهوده المبذولة وإرشاداته طوال المسار الجامعي، فأحمد الله على منحه لي شرف التتلمذ على يده.

والشكر موصول أيضا إلى كل الأساتذة الأفاضل وأخص بالذكر الأستاذة صفية بن جدو على تقديمها لي يد المساعدة.

والشكر لكل الأساتذة الذين قدموا لي يد العون والمساعدة سواء من قريب أو من بعيد من أجل إتمام هذا البحث.

الإهداء

الحمد لله ما خُتم جهد ولا تم سعي إلا بفضله فله الحمد حتى يبلغ الحمد منتهاه والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أهدي ثمرة جهدي إلى من أرادا رؤيتي في هذا المقام ورافقتني دعواتهم طوال المسير ودفعا بي قُدما نحو محطات النجاح إلى...الوالدين الكريمين...حفظها الله.

إلى أجمل ما أهدت لي أمي...إخوتي الكرام.

إلى صديقات الوفاء والإخلاص... هاجر... شيماء... نسرين.

إلى كل من بلغوا في القلب مكانة.

إلى بلدي ... الجزائر.

إلى هؤلاء جميعا أهدي هذا العمل.

قائمة الرموز والمختصرات

- أ: أستاذ.
- د: دكتور.
- ج: جزء.
- ت: توفي.
- د.ت: دون تاريخ.
- د.ت.ط: دون تاريخ الطبع.
- تر: ترجمة.
- ص: الصفحة.
- م: التاريخ الميلادي.
- هـ: التاريخ الهجري.

مقدمة

"...أما بعد فإن علم التاريخ علم عظيم المقدار رفيع المنار، شهدت بفضله الآيات والأخبار، واعتنى بنقله الأثبات والأخيار وأنفقوا في ذلك نفايس الأعمار، وارتكبوا بسابس الأخطار حتى حصلوا من ذلك أسفار الفوائد وفوائد الأسفار، وبلغوا في ذلك غايات المنى ونهايات الأوطان، فكشفوا عن الأمة كل غمة بما رووا من الأخبار وجلوا غياهب كل ظلمة بنيران الآثار، شكر الله سعيكم المختار وعم بواسع مغفرته جميعهم إنه هو الرحيم الغفار"

- ابن الديبع قرة العيون ص(1)

يعد التاريخ من أهم ميادين المعرفة التي اهتم بها العرب، من أجل التأكيد على هويتهم وإبراز شخصيتهم بين الشعوب، فمنذ عصر ما قبل الإسلام كان هناك قُصّاص "يروون أيام العرب وأخبارها" ويحفظون "أنسابها" ويتفاخرون بها بين بعضهم. وما إن جاء الإسلام زاد الحس التاريخي لدى العرب المسلمين، ذلك بعد أن نزل الله تعالى قوله (لقد كان في قصصهم عبرةٌ لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يومنون).

سورة يوسف الآية: (111)

وبينما كانت ثقافة العرب واهتمامهم الفكري أحد المظاهر التي تدل على اهتمامهم بجوانب الإنسانية، ولأن التاريخ يعد من أهم فروع المعرفة الإنسانية، فقد اهتم المسلمون بكل ما يخص الإنسان من عاداته وتقاليده ونسبه، كما أن القرآن الكريم دعا إلى الاهتمام بأحوال الماضين وأخذ العبرة، إن هذه العوامل أدت إلى استمرار الاهتمام بالتاريخ والتدارس فيه طوال أزمنة عديدة. عقب هذا الاهتمام الفكري التاريخي، إنتاج معرفي كبير فألفت كتب في مختلف الجوانب، السياسية والاقتصادية والثقافية والتاريخية، ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن المسلمين أول من منهج التاريخ كعلم، ووجهه إلى الشمول وكانت نظرتهم إليه كسجل للعبر والمعرفة.

واستمر هذا الاهتمام خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، اللذين شهدت فيهما البلاد الإسلامية تغيرا كبيرا في الخريطة السياسية للعالم الإسلامي في ظل حكم العباسيين، الذي أضحى حكمهم مجرد اسم ودعوة على المنابر، في حين كانت السلطة الفعلية تتقاذفها أسر إسلامية من شتى الأجناس، بين فارسية وتركية وكردية، فاستقر الحكم في كل من مصر والشام أواخر القرن السادس إلى القرن التاسع الهجري، على يد بني أيوب الأكراد والمماليك الأتراك.

وفي خضم هذه التغيرات أردنا تسليط الضوء على جانب من جوانب الحياة العلمية في هذا القطر المهم من العالم الإسلامي، وتحديدا موضوع التدوين التاريخي الذي قطع إلى هذه الحقبة أشواطا كبيرة في المنهج والأسلوب والتنوّع في طرح المواضيع، باحثين عن مكامن تطور التدوين والكتابة التاريخية، ومظاهر الجِدّة والتقليد فيها، انطلاقا مما سبق رأينا أن يكون عنوان بحثنا "**التقليد والتجديد في التدوين التاريخي خلال القرن (5-9هـ/11-15م)**"

أردت من خلاله تتبع نشاط المؤرخين المسلمين وما أكثرهم في ذلك الحين، ومدى عكوفهم على فروع التاريخ المختلفة، والتي أخذوا في تدوينها وترتيبها وترقيتها، محاولين البحث عن مظاهر التقليد والتجديد في المنهج والموضوع.

وتكمن أهمية الموضوع في أنه يدرس جهود العلماء المسلمين في التدوين التاريخي، فمنهم من أبدع في كتابة حوادث مختلفة ومن تخصص في كتب التاريخ الجامعة، بالإضافة إلى الإطلاع على حركة التدوين التاريخي الإسلامي في بلاد مصر والشام، اللذان كانا أبرز البلدان الإسلامية نشاطا في جانب الحركة العلمية والتأليف عموما، كما أنه يكشف عن الجديد والتجديد الذي حدث في تدوين التاريخ ومناهجه مع إبراز أهم النماذج المدونة خلال هذه الفترة ومعرفة أشهر أعلامها.

واختياري لهذا الموضوع يرجع لعدة أسباب: أولها معرفة أسباب الجمود الفكري الذي أصاب المؤرخين المسلمين في القرون الأخيرة باستثناء البعض وثانيا: التغيرات التي طرأت على الكتابة التاريخية عند المسلمين، سواء على مستوى المنهج أو الموضوع، ثالثا: كون هذه الفترة شهدت الزخم الهائل لكتب التكملة والذيول، والشروح والمختصرات، إضافة إلى موسوعية المؤرخين في ذلك الحين رابعا: الرغبة في الاطلاع على كتب التاريخ الإسلامي.

وفيما يخص الدراسات السابقة المتخصصة، فإنني لم أعثر على أي بحث في الموضوع مباشرة، لكنني وجدت بعض الدراسات التي تناولت موضوع التدوين التاريخي بصفة عامة مثل الدراسة التي قام بها **أنور عوده عواد الخالدي، الكتابة التاريخية في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي (2006م)**، وهذا ما دفعني إلى البحث والتنقيب في هذا الموضوع.

ودراسة جوانب الموضوع ومناقشتها تكمن في تتبع ملامح الكتابة التاريخية ما بين القرنين الخامس هجري والتاسع هجري والوقوف على مكامن إقتفاء المؤرخين لخطى ومنهج التدوين لدى

سابقيهم من المؤرخين، إلى جانب ذلك البحث أيضا عن مظاهر التجديد والتغيير في نمط ومنهج التدوين التاريخي علما أن لكل عصر مزياه في كل شيء وأن تمسك أهل ذلك العصر ببعض مظاهر من سبقهم.

ولمعالجة هذه الإشكالية نطرح الأسئلة التالية:

- كيف نشأ التدوين التاريخي عند المسلمين؟ وماهي دوافعه وتطوراته؟ وهل كان للخلفاء والحكام دور في تنشيط حركة التأليف التاريخي؟

- ما هي مظاهر التقليد في التدوين التاريخي عند المسلمين؟ وماهي الأسباب التي أدت بالمؤرخين المسلمين إلى الجمود الفكري وتوقف معين الإبداع والابتكار؟

- فيما تمثلت جهود المؤرخين المسلمين على مستوى الكتابة التاريخية؟ وما مدى إسهامهم في الابتكار والتجديد في مناهج وأنماط ومواضيع التأليف التاريخي؟

ولمعالجة هذه الإشكالية والإجابة على تساؤلاتها الفرعية، تتبعت منهجا يقوم على الاسترداد الذي يغلب عليه الوصف، فهو يستعمل في الدراسات التاريخية لاسترجاع الحوادث المراد دراستها، كما اعتمدت المنهج الإحصائي لإحصاء المؤرخين في ذلك العهد، والوقوف على أعمالهم التاريخية، إضافة إلى ذلك استعنت بالمنهج التحليلي من أجل تحليل بعض القضايا التاريخية التي مست التدوين التاريخي عند المسلمين، أما المنهج المقارن فقد حظي بجزء من هذه الدراسة، وذلك من خلال اعتمادي عليه في المقارنة بين مناهج المؤرخين خلال فترة وأخرى.

تطلب مني موضوع الدراسة تتبع خطة عمل مكونة من فصل تمهيدي وفصلين، جاء الفصل التمهيدي بعنوان: نشأة التدوين التاريخي عند المسلمين قبل القرن الخامس الهجري، قدمت فيه نبذة مختصرة عن الوعي التاريخي عند العرب قبل الإسلام، ثم البدايات الأولى للتدوين التاريخي عند المسلمين وأسبابه، وتتبعت خلالها التطور في التدوين إلى غاية القرن الرابع الهجري، وأخيرا ختمت الفصل بإعطاء لمحة عامة عن الدور الذي لعبه الخلفاء والحكام في دعم العلماء وتنشيط حركة التأليف.

أما الفصل الأول وسمته بمظاهر التقليد في التدوين التاريخي، وقسمته إلى مبحثين، الأول تناولت فيه دراسة التقليد المنهجي الذي حدث في التدوين التاريخي، أما الثاني فجاء بعنوان التقليد الموضوعي في التدوين التاريخي.

والفصل الثاني أفردته للحديث عن التجديد في كل من المنهج والموضوع في التدوين التاريخي عند المسلمين، قسمته إلى مبحثين، الأول خصصته في دراسة التجديد المنهجي في التدوين التاريخي، والثاني جاء بعنوان التجديد الموضوعي في التدوين التاريخي.

وفي نهاية البحث خاتمة ضمّنتها أهم النتائج التي توصلت إليها.

وقد ساعدني في إنجاز هذا العمل وجمع مادته العلمية مجموعة من المصادر في التاريخ الإسلامي المتخصصة منها والجامعة.

أولا: كتب التراجم والطبقات: وتشكل التراجم مصدرا مهما من مصادر التاريخي عامة، ومصادر الدراسة خاصة، لأنها احتوت على معلومات تشبع البحث.

ومن كتب التراجم التي أفادتني في الدراسة نذكر:

– **"الوافي بالوفيات"** لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت764هـ-1363م)، وقد جاء ترتيبه على الحروف الهجائية، وقد تحصّلت على معلومات منه مهمّة تخدم موضوع البحث، كما أنه أفادني كثيرا في تراجم المؤرّخين الذّين عاشوا خلال فترة موضوع الدراسة.

– **"وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"** لابن خلكان (ت681هـ-1282م)، فقد ترجم لمؤرّخي مصر في فترة القرن السابع الهجري.

– **"فوات الوفيات"** لصلاح الدين محمد بن شاكر الكتبي(ت764هـ-1363م)، وقد ذيل به على كتاب "وفيات الأعيان" لابن خلكان، تضمن تراجم مشاهير الأعلام والأعيان.

وغيرها من كتب التراجم التي كان لها دور كبير في خدمة البحث، مثل كتاب "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام" لشمس الدين الذهبي (ت748هـ-1347م)، وكتاب "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" لشهاب الدين أحمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني (ت852هـ-

1448م)، يعد من الكتب الهامة في كتب التراجم رتبه على حروف المعجم، يحتوي على تراجم كثيرة لأعيان القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي، أفادني كثيرا في الترجمة لمؤرخي القرن الثامن والوقوف على أعمالهم، وكتاب "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" لشمس الدين السخاوي، فقد ترجم فيه لأهل القرن التاسع ولأن دراستي ممتدة إلى غاية القرن التاسع فإنه أفادني كثيرا في البحث.

–ثانيا: كتب التاريخ العام: ولأن هذه الدراسة جاءت في سياق منهجي أكثر من أنه موضوعي فإنني لم أعتمد كثيرا على كتب التاريخ العام في نقل الحوادث والوقائع التاريخية، واستفادتي الكبيرة منها كان من خلال مقدمات هذه الكتب، وذلك من أجل دراسة واستنباط مناهج أصحابها، ويأتي في مقدمة ذلك:

– "**الكامل في التاريخ**" لعز الدين ابن الأثير (ت630هـ)، أفادني كثيرا خلال الحديث عن الأوضاع العامّة لبلاد مصر والشام في القرنين الخامس والسادس، خاصة الجزء الخاص بالحروب الصليبية.

– "**البداية والنهاية**" لعماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت 774هـ-1372م)، مكمن استفادتي منه في مقدمته التي أورد فيها منهجه، وأسباب تأليفه لكتابه، إضافة إلى اشتمال كتابه على تراجم لعدد من أعلام المؤرّخين خلال فترة موضوع الدراسة.

– "**المقدمة**" عبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ-1406م)، تعد من أهم ما كتب أفرد فصلها الأول في فصل علم التاريخ ومذاهبه وبالتالي أفادتني كثيرا خلال الحديث عن علم التاريخ.

بالإضافة إلى مصادر أخرى ممثلة في كتب الجغرافية والرحلات وكتب تواريخ البلدان، والمعاجم التاريخية، والتي سيأتي ذكرها في قائمة المصادر.

كما أن بحثي هذا ارتكز على مجموعة من المراجع المتخصصة، التي قدمت خدمة كبيرة للدراسة نذكر منها:

– "**التدوين التاريخي عند المسلمين**" لفاروق عمر فوزي يعد من أهم الدراسات التي اهتمت بتدوين التاريخي عند المسلمين، وقد أفادني كثيرا في تتبع تطور التدوين التاريخي عند المسلمين من القرون الهجرية الأولى إلى غاية القرن العاشر الهجري القرن السادس عشر ميلادي.

– **"علم التاريخ ومناهج المؤرخين"** صائب عبد الحميد قسمه إلى ثلاثة أبواب احتوت على مجموعة من الفصول، استفدت منه في الحديث عن مناهج المؤرخين التي ضمنها في الباب الثالث والأخير.

– **"المسلمون وكتابة التاريخ"** عبد العليم عبد الرحمن خضر وقد قسّمه إلى سبعة فصول تمثلت استفادتي منه في الحديث عن المناهج خاصة المنهج العلمي عند اين خلدون.

– **"علم التاريخ عند المسلمين"** للمستشرق فرانز روزنيثال، وقد ترجم كتاب السخاوي "الإعلان بتوبيخ لمن ذم التاريخ" أفادني كثيرا في الحديث عن نشأة التاريخ عند المسلمين، إضافة إلى تحديد مناهجهم.

ولا يخلو أي بحث من العقبات والصعوبات ومن الصعوبات التي واجهتني أذكر:

– صعوبة البحث في المصادر التاريخية عن المعلومات التي تخدم هذه الدراسة، لأنها احتوت على معلومات متناثرة فبذلت قصارى جهدي في جمعها.

الفصل التمهيدي:

التدوين التاريخي عند المسلمين قبل القرن الخامس الهجري

"إن التاريخ هو علم يبحث فيه عن الزمان وأحواله وأحوال ما يتعلق به من حيث تعيين ذلك وتوقيته"[1]، فهو يستهدف جمع المعلومات عن الماضي وتحقيقها وتسجيلها وتفسيرها، ويسجل أحداث الماضي في تسلسلها وتعاقبها، فدراسة التاريخ فيها مواعظ ودروس وعبر تجعلنا نتعلم من أخطاء الماضي، ونقف على أسباب سقوط الدول وانهيار الحضارات، والاقتداء بالشخصيات التاريخية البارزة كالرسل والأنبياء والقادة والعلماء، وقد خصّه العرب بالدراسة ذلك أنهم رغبوا في معرفة أخبار الأمم السابقة ومصائرها وحوادثها، فأسسوا له وجعلوا من الكتابة قيدا له فجمعوا الروايات وألّفوا في جميع فروعه، ترجم لهذا الاهتمام التاريخي كثرة المؤلفات في شتى الميادين، إضافة الى بروز مؤرخين كبار مثلوا الركائز المتينة لعلم التاريخ.

[1]- محي الدين بن سليمان الكافيجي(ت879هـ)، **المختصر في علم التاريخ**، تح: محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، بيروت، (1990م)، ص55.

المبحث الأول: نشأة التدوين التاريخي عند العرب المسلمين:

1/الوعي التاريخي عند العرب قبل الإسلام:

لقد اهتم العرب في فترة ما قبل الإسلام بالتاريخ واعتنوا به كما اعتمدوا عليه في التأكيد على هويتهم وابراز شخصيتهم بين الشعوب، لكن لم يعرف العرب في جاهليتهم التدوين والكتابة بل اكتفوا بالرواية الشفوية فقد كان هناك قصاص يروون" أيام العرب وأخبارها " ويحفظون "أنسابها"[1].

وإن الباحث في المصادر التاريخية يجدها قد نقلت بين طياتها أخبار الدول والشعوب العربية منذ عصر ما قبل الإسلام، وهذا إن دلَّ على شيء فإنه يوحي إلى أنّ التدوين في الصحف وفي النقوش لم يكن معدوما حيث تضمّنت أخبار ملوك اليمن ودولهم وحروبهم مع الأحباش وعلاقتهم مع الفرس[2]، فقد كان لها أهمية كبيرة حيث أنها ساعدت المؤرخين على تتبع تاريخ الجاهلية ولكن طابع الرواية الشفوية بقي غالبا وكان أسلوبها قصصيا ومن أهم القُصاص وهب بن منبه[3] و كعب الأحبار[4]

---

[1]- فاروق عمر فوزي، **التدوين التاريخي عند المسلمين (مقدمة في دراسة نشأة علم التاريخ وتطوره حتى بداية القرن العاشر للهجرة. القرن السادس عشر الميلادي)**، مركز زايد لتراث والتاريخ، الامارات العربية المتحدة، ط01، 2004م، ص39.

[2]- لقد عثر على العديد من النقوش الاثرية في الجزيرة العربية وخصوصا اليمن وقد وجد في اليمن من القرن الماضي على نقوش معينية وسبئية وحميرية وكذا الثمودية والحيانية والنبطية. ينظر: محمد عبد الكريم الوافي، **منهج البحث في التاريخ والتدوين عند العرب**، جامعة قاريونس، بنغازي، ط03، 2008، ص186.

[3]-وهب بن منبه: أبو عبد الله اليماني الإخباري صاحب القصص، كان من خيار التابعين ثقة صدوقا ولد في صنعاء زمن خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة 34هـ، كان وهب إخباريا وقاصا عالما بالفقه، تولى القضاء في صنعاء في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز(ت101هـ) كان كثير النقل من الكتب القديمة المعروفة بالإسرائيليات، وهذا ما سبّب له الكثير من النقد من قبل المؤرخين، كتب كتبا عديدة منها المغازي وكتاب القدر وقيل انه ندم على تصنيفه توفي سنة(114هـ). ينظر: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626هـ)، **معجم الأدباء**، تح: أحمد فريد الرفاعي، مطبوعات دار المأمون، مصر، ط01، (1357هـ-1938م)، ج19، ص ص259-260.

[4]- كعب الأحبار: أبو إسحاق كعب بن مانع بن هينوع ويقال هيسوع، ويقال عمر بن معن بن جشم بن عبد الشمس بن وائل بن عوف بن جمهو بن سبأ الحميري، من اليمن من حمير آل ذي رعين وقيل من آل ذي الكلاع من بني ميتم المعروف بكعب الأحبار. ينظر: خليل إسماعيل إلياس، **كعب الأحبار وأثره في التفسير**، دار الكتب العلمية، لبنان، ط01، 2007م، ص25.

وعبيد بن شريه الجرهمي[1]، رغم تحيز هؤلاء القُصاص إلى تاريخ اليمن ومبالغتهم فيه فإن المؤرخين الذين ظهروا في القرن الثاني الهجري الموافق للقرن الثامن ميلادي نقلوا منها ما يتعلق بتاريخ العرب قبل الإسلام[2].

وإن الدراسة لتاريخ العرب قبل الإسلام والاستقصاء لأخبار الدول الضاربة بجذورها في أعماق الحضارة مثل اليمن والحيرة وغسان نجدها لم تحرص على تسجيل أخبارها ولم تُشد بإنجازاتها، إذ لم يصلنا منها كتابة تاريخية وأضحى تاريخها نسيا لدى العرب حتى دخلت عليها الأباطيل والخرافات لما ظهرت المحاولات الأولى للتأريخ لها بعد ظهور الإسلام، والشيء الوحيد الذي نسمع عنه هو تلك المدونات التاريخية المعثور عليها في خزائن ملوك الحيرة المودعة في الأديرة والكنائس لبلادهم، وإن كنّا لا نعرف عنها شيئا فيما عدا ذلك.

1/1 أيام العرب:

يقول صاحب كشف الظنون" إن علم أيام العرب هو علم يبحث فيه عن الوقائع العظيمة والأهوال الشديدة بين قبائل العرب... وينبغي لذلك أن يجعل فرعا من فروع التواريخ[3]، وهي روايات جماعية تحمل اسم الأيام تروي حروب القبائل وانتصاراتهم بالشعر أو النثر، الذي يتخلله الأشعار لكون الشعر يحافظ على انتشار الخبر وفي هذا الصدد ونقلا عن ابن فارس الذي يقول إن الشعر هو ديوان العرب وبه حفظت الأنساب وعرضت المآثر ومنه تعلمت اللغة[4].

وإن كانت هذه الروايات مضطربة من ناحية التوقيت فإنها لا تخلو من العصبية وتمثل جانبا واحدا، إذ ينقصها التأليف والسبك وليست فيها فكرة تاريخية ومع ذلك لم تنعدم من سرد بعض

---

[1]– عبيد بن شرية الجرهمي: عاش في زمان معاوية وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيئا، كان على دراية وعرفة بأخبار الاقدمين، فقد أمره معاوية ان يدون وينسب، وعاش عبيد بن شرية الى أيام عبد الملك بن مروان وله من الكتب كتاب الامثال، كتاب الملوك وأخبار الماضيين. ينظر: محمد بن اسحاق ابن النديم(ت385هـ)، **الفهرست**، دار المعرفة، لبنان، ص132.

[2]–فاروق فوزي، المرجع السابق، ص39.

[3]– مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة (ت1067)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، تصحيح وتعليق محمد شريف الدين يلتقايا، ورفعت بيلك الكليسي، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1994م، ص204.

[4]– حسين نصار، **نشأة التدوين التاريخي عند العرب**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، (د.ت–ن)، ص5، ينظر كذلك: عبد العزيز الدوري، **نشأة علم التاريخ عند العرب**، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، 2000م، ص19.

الوقائع التاريخية[1]، فقد كانت لها أهمية كبيرة حيث أنها استمرت حتى صدر الإسلام وقد أثر أسلوبها على بداية علم التاريخ، وأصبحت جزءا لا يتجزأ من الكتابة التاريخية العربية الاسلامية[2] ومحل اهتمام اللغويين والنسابة والمؤرخين وقد حاول ابن الأثير أن يورد أخبار الأيام في تسلسل تاريخي[3].

2/1 الأنساب:

كانت تعمل كل قبيلة على حفظ نسبها لتحافظ على المكاسب المعنوية الموروثة عن الأجداد من مروءة وشجاعة وأدب وكرم، وبإمكانها الافتخار أمام القبائل الأخرى[4]، ويشير الهمذاني إلى الوثائق الملكية باليمن والسجلات الحميرية وإلى زبر أو وثائق وسجلات للأنساب حفظتها بعض البطون، وفي الشمال الشرقي للجزيرة العربية كان للمناذرة كتب تحوي أخبار عرب الحيرة وأنسابهم وسير أمرائهم كما كانوا يعرفون كثيرا عن أخبار الفرس وكان للعرب روايات شفوية عن آلهتهم وعن أنسابهم ومعاركهم الحربية وسائر مفاخر العرب آنذاك، وقد اعتبرت أي (الأنساب) فرعا من فروع التاريخ وديوان العرب على الرغم من أنّ هذه الأخبار كلها بعيدة عن الصحة غارقة في الوهم والغلط وأشبه بأحاديث القصص الموضوعة[5].

2/التدوين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:

إنّ علم التاريخ من أهم ميادين المعرفة التي اهتم بها العرب وتدارسوا وألّفوا فيها، ويرجع اهتمامهم بالتاريخ إلى ما قبل الإسلام. ومع ظهور الإسلام شغل المسلمون بدينهم الجديد وبالفتوحات والغزوات وبناء دولة جديدة حتى توطدت مكانة العقيدة الإسلامية، وبذلك فقد شعر العرب بأنهم أصحاب رسالة عظيمة وحياتهم تمر بمنعطف تاريخي هام أثر ذلك على اهتمامهم بتأريخ والتدوين التاريخي بحيث أصبح علم التاريخ من أهم العلوم عند العرب، به حفظت الأنساب وخلّدت الأثار ويأتي تعريف ابن خلدون (ت808هـ-1405م) للتاريخ مؤكدا ذلك في قوله: "التاريخ في ظاهره لا

---

[1]- محمد فتحي عثمان، **المدخل إلى التاريخ الإسلام**، دار النفائس، بيروت، ط2، 1992م، ص115.

[2]- فاروق فوزي، المرجع السابق، ص40.

[3]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص20.

[4]- حسين نصار، المرجع السابق، ص7.

[5]- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت 808هـ)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تحقيق أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، السعودية، (د. ت، ن) ج2، ص12.

يزيد على أخبار الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق وجدير بأن يعد في علومها وخليق"[1].

ويؤكد كل من محمد بن سليمان الكافيجي(879هـ-1474م) في كتابه "المختصر في علم التاريخ" والسخاوي (902هـ-1496م) في كتابه" الإعلان بتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ" على أن التاريخ علم موضوعه الإنسان والزمان[2]، وعن التاريخ يقول أيضا العلامة محمود شاكر "والإحساس بتاريخ ظاهرة فريدة معرقة القدم في تاريخ العرب الجاهلية وقد ترك أثره البيّن في حياتهم، ثم في لغتهم ثم في شعرهم، فلما جاء الإسلام زاد هذا الإحساس نفاذا ووضوحا لحاجتهم إليه في تاريخ تنزيل القرآن منجما على مدى ثلاث وعشرين وما ترتّب على ذلك من معرفة الناسخ والمنسوخ من القرآن والحديث وما ارتبط بذلك من مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم سنة بعد سنة بعد الهجرة، فلما جاء عهد التدوين اتسع هذا الإحساس وصار واضحا في الكتب المخطوطة والحديث وعلم الجرح والتعديل وإن كان القرن الأول الهجري قد انتشرت فيه الأخبار والروايات التاريخية المتداولة شفويا عن طريق القُصّاص والرواة والإخباريين استمرارا لما كانت عليه الحالة في فترة ما قبل الإسلام وعليه فإن التدوين التاريخي بدأ مبكرا.

اهتم المسلمون بالكتابة منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وعن أهمية الكتابة نلاحظ الجاحظ (255هـ-868م) وهو يحث على تدوين الأخبار بقوله: "لولا الكتابة لاختلّت أخبار الماضين وانقطعت آثار الغائبين وإنما اللسان للشاهد لك والقلم للغائب عنك وللماضي قبلك..." لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يحفظون القرآن الكريم والأحاديث النبوية ويكتبونها على الرقاع أو البرديات من أجل الاحتفاظ بها والعودة إليها عند نسيانهم لها تمثلت تلك الكتابات على شكل صحف متفرقة، كما كان اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بالكتابة وكان لديه كُتّابه يكتبون ما يأمر به ويقول ابن القيم " فقد ذكر أهل السيرة أسماء الصحابة الذين كانوا يكتبون الوحي والرسائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أبو بكر الصديق عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب

[1]- ابن خلدون، **المقدمة**، تح: كاترمير، مكتبة لبنان، بيروت، ط01، 1858م، ص2.

[2]- محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين السخاوي (ت902هـ)، **الإعلان بتوبيخ لمن ذم التاريخ**، تر: صالح أحمد العلى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط01، 1407هـ-1986م، ص19.

الزبير بن العوام وعامر بن فهيرة ، عمرو بن العاص وأبي بن كعب وعبد الله بن الارقم وثابت بن قيس بن شماس وحنظلة بن الربيع الاسدي، والمغيرة بن شعبة وعبد الله بن رواحة وخالد بن الوليد، وخالد بن سعيد بن العاص وقيل أنه أول من كتب له ومعاوية ابن أبي سفيان وزيد بن الحارث وكان ألزمهم لهذا الشأن وأخصهم به[1]، فقد كان الصحابة يحفظون القرآن ومنهم من يكتبه فكتب على العسب وفي الخزف والحجارة وغير ذلك كالعظام[2].

كما أن المتتبّع لسيرورة تدوين الحديث وروايته منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم يجد أنّ عددا من الصحف تضمّنت الحديث النبوي الشريف كتبها الصحابة وقد ثبت أنها كُتبت عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي عهده، وإن لم يكن ذلك عامًا، لكن يمكن بمجموعها أن تشكّل صورة تدل على أنّ وجود الكاتبة عامة وكتابة الحديث خاصة، كانت منتشرة وراسخة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث أقرّها ولم يمنعها بل أمر البعض منهم بالاستمرار في الكتابة مثلما فعل مع عبد الله بن عمرو[3] وسنذكر بعض الصحف الخاصة التي كتبها الصحابة تناولت الحديث مباشرة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

_ صحيفة عبد الله بن عمروا (رضي الله عنه): كانت له صحيفة عرفت بالصادقة يدوّن فيها الحديث وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر ابن الأثير أنّ هذه الصحيفة كان فيها ألف حديث[4].

---

[1]- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ابن القيم الجوزية (ت751هـ)، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، تع: شعيب الأرناؤوط– عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط03، ج01، 1418هـ،1998م، ص112.

[2]- ابو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت671هـ)، **الجامع لأحكام القرءان والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان**، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي ومحمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط01، 1427هـ -2006م، ج01، ص83.

[3]- روي عن عبد الله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم، أريد حفظه، فنهتني قريش فقالوا إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال "أكتب فو الذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق".

[4]- عز الدين ابن الأثير (ت630هـ)، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تح: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، لبنان، ط01، (د-ت-ن)، ج03، ص346.

ـ صحيفة جابر بن عبد الله الأنصاري (رضي الله عنه): فقد ذكر الإمام مسلم أحاديث ذُكرت في صحيفة لجابر بن عبد الله، ما أخرج عن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول "كتب النبي صلى الله عليه وسلم على كل بطن عقولة، ثم كتب أنه لا يحل لمسلم أن يتوالى مولى رجل مسلم بغير إذنه ثم أُخبرت أنه لعن في صحيفته من فعل ذلك[1].

ـ صحيفة أنس بن مالك (رضي الله عنه) أورد البغدادي عن هبيرة بن عبد الرحمن عن أنس بن مالك قال "كان إذا حدث فكثر عليه الناس جاء بمجال فألقاها ثم قال: هذه أحاديث سمعتها وكتبتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقرأناها عليه[2]. وغيرها من الصحف التي حملت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم[3] كتبها الصحابة رضوان الله عليهم".

ولم تقتصر الكتابة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم على كتابة الوحي والأحاديث فقط بل كان الرسول صلى الله عليه وسلم يطلب من كُتّابه أن يكتبوا الرسائل التي كان يرسلها للملوك والأمراء من أجل الدعوة إلى الإسلام وبيان تعاليمه، ومن ذلك كتابه إلى هرقل ملك الروم وإلى كسرى ملك الفرس يقول الإمام البخاري: "حدّثنا إسماعيل بن عبد الله قال :حدّثني إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود : أن عبد الله بن عباس أخبره "أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بكتابه رجلا، وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى فلما قرأه مزقه فحسبت أنّ ابن المسيّب قال: فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمزقوا كل ممزق"[4]، كما أنه كان عليه الصلاة والسلام يكتب المواثيق والمعاهدات ومن ذلك كتاب صلح الحديبية[5].

---

[1]- صحيح مسلم، **باب تحريم تولي العتيق غير مواليه**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1374هـ-1955م، ج2، الحديث رقم1507، ص1146.

[2]- أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت463هـ)، **تقييد العلم**، تح: سعد عبد الغفار علي، دار الاستقامة، القاهرة، ط01، 1429هـ-2008م، ص120.

[3]- ونجد أيضا صحيفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، صحيفة سمرة بن جندب رضي الله عنه. ينظر: محمد مصطفى الأعظمي، **دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه**.

[4]- صحيح البخاري، **باب ما يذكر في المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان**، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، 1311م، ج1، الحديث رقم 63، ص23.

[5]- صحيح البخاري، **كتاب الجهاد، باب صلح الحديبية في الحديبية**، الحديث رقم 3335.

وإن كانت الكتابة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والتي تمثلت في كتابة الوحي والحديث النبوي أو حتى تلك الرسائل والمعاهدات التي سطّرها الصحابة رضوان الله عليهم بأيديهم أو إملاء على الصحف والرقاع فإنها أصبحت بذلك مادة ومنهجا للكتابة التاريخية في الإسلام منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم وما بعده، ذلك لما حوته من معارف شتى ومنها أخبار الماضين وقصص الأوليين وأحوال النبي صلى الله عليه وسلم وتفسير الكتاب العزيز[1] كما قد رافق هذه الصحف مدونات أسست لعلم التاريخ منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولعلّ أول المدوّنات ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس فكتبنا له ألف وخمس مائة رجل"[2] وقد اعتبر أول تصنيف تاريخي في الإسلام، فهذا الكتاب يسبق بكثير ديوان عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي يعتبره البعض من أوائل الكتابات في التاريخ والأخبار فقد حملت هذه المدونة في ثناياها معنى التاريخ عند المتأخرين ذلك أن ترتيب هؤلاء المسلمين ينبغي حتما أن يكون على تاريخ إسلامهم فبدأت بالمهاجرين الأول فمن بعدهم وهذا في ذاته تاريخ ناهيك عن احتواء هذا الكتاب على أنساب هؤلاء وهذا نمط آخر من أنماط علم التاريخ عند المسلمين بعد ذلك[3].

3/ التدوين عند المسلمين في عهد الصحابة والتابعين.

إن تطور العلوم الإسلامية مر بعدة مراحل متلاحقة كانت بدايتها الأولى الرواية الشفوية دارت في مجالس العلم في القصور والمساجد فرغم غلبة الأخبار التاريخية والمحفوظات الجماعية والتي استمرت إلى نهاية القرن الأول الهجري، حيث بدأ انتشار الكتابة في أوساط المحدثين والإخباريين شيئا فشيئا. بدأ التدوين في فترة مبكرة من عصر صدر الإسلام على صحف متفرقة كما ذكرنا أنفا، وعلاوة على ذلك فإن الكتابة عند العرب المسلمين ارتبطت بالتاريخ الهجري، يروي الطبري عن السعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب جمع الناس "فسأل الناس من أي يوم نكتب؟ فقال على من يوم هاجر

[1]- أحمد خليل الشال، **علم التاريخ عند المسلمين**، دار السقيفة، مصر، ط01، 1433هـ-2016م، ص80.

[2]- صحيح البخاري، **الحديث رقم** 3060.

[3]- خليل الشال، المرجع السابق، ص80.

الرسول صلى الله عليه وسلم وترك أرض الشرك ففعله عمر ..."وهنا بدأت الكتابة التاريخية انطلاقا من الهجرة النبوية[1].

ويعد القرآن الكريم أول ما كتبه المسلمون بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، عندما تولى أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة وحدثت حروب الردة وهنا كثر القتل في الحُفّاظ يوم اليمامة اقتنع أبو بكر بنصيحة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بضرورة جمع القرآن في مصحف واحد حتى لا يذهب بذهاب حُفّاظه فقد قُتِل أثناء ذلك الكثير من القُرّاء فخاف عمر رضي الله عنه أن يموت كبار الحُفّاظ كابي وابن مسعود، وزيد بن ثابت، ثم اقنع زيد بن ثابت بذلك فجمعه زيد في صحف مجموعة بقيت عند الخليفة إلى وفاته ثم عند عمر رضي الله عنه إلى وفاته، وكانت في حفظ السيدة حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها[2].

وفي عهد الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه جمع القرآن مرة أخرى في مصحف واحد بسبب خوف أحد الصحابة من اختلاف الأمة في أمر القرآن، وهو حذيفة بن اليمان أحد قادة الجيش في ثغور الشام، فقال للخليفة عثمان "أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب، اختلاف اليهود والنصارى"، قام عثمان رضي الله عنه بطلب المصحف الذي جمعه أبو بكر الصديق، فلما أُحضر له أمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، ومما قاله للثلاثة من قريش: "إذا اختلفتم أنتم وزيد في عربية من عربية القرآن، فاكتبوها بلسان قريش فإن القرآن نزل بلسانهم ففعلوا... فأرسل إلى كل أفق بمصحف"[3].

بعد اطمئنان الصحابة على كتاب الله بدؤوا يوجهون اهتمامهم نحو تدوين أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن أوائل الذين كتبوا عن السيرة النبوية عروة بن الزبير بن العوام، وتعد كتاباته من المصادر الأساسية الأولى لمن جاء بعده من المؤرخين، بالإضافة إلى اهتمام عبد الله بن عمرو

---

[1]- أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ)، **تاريخ الرسل والملوك**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، بيروت، ط 04، ج 04، 1991م، ص 39،

[2]- صحيح البخاري، **كتاب فضائل القرءان، باب جمع القرآن**، حديث الرقم 4986.

[3]- أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن الكثير، **تفسير القرآن العظيم**، تح: سامي محمد السلامة، دار طيبة لنشر والتوزيع، الرياض، ط 02، 1420هـ – 1999م، ج 01، ص ص17-19.

بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أن أبان بن عثمان بن عفان (ت105هـ)، كتب بالمدينة صحفا عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، شرح فيها أعماله وجهاده وغزواته، ولابد من الإشارة إلى أن حركة تدوين الأحاديث النبوية ازدادت ونشطت عند تولي عمر بن عبد العزيز الخلافة عام(99هـ)، حيث أمر عمّاله ووُلّاته بتدوين الحديث حفظا له من الضياع[1].

فاهتم الأئمة والعلماء في مختلف الأمصار بذلك فكتب ابن جريج بمكة، وكتب مالك بن إسحاق بالمدينة وكتب الربيع بن صبيح وحمادة بن سلمة بالبصرة وكتب سفيان الثوري بالكوفة...وكانت طريقتهم في التدوين عبارة عن جمع أحاديث كل باب من أبواب العلم ثم جمعها في مصنف واحد مع ذكر أقوال الصحابة والتابعين، لهذا حملت المصنفات الأولى عناوين "المصنف والموطأ وجامع"[2].

مما يجدر بنا ذكره أنّ الكتابة التاريخية في الفترة الإسلامية تأثرت بمنهج البحث في الحديث النبوي الشريف ذلك أن المحدّثين وضعوا قواعد صارمة للتأكد من المتن والسند لكل رواية من روايات الحديث النبوي ويطلق على هذه القواعد(علم الجرح والتعديل) الذي انتقل بدوره إلى التاريخ لأن أغلب المحدّثين كانوا مؤرخين في نفس الوقت[3]، اهتم المسلمون بكتابة الأخبار التاريخية التي كان يرويها الإخباريون والنسّابة ويرجع ذلك إلى اهتمام الخلفاء وتشجيعهم للكتابة والتدوين التاريخي من أجل معرفة أحوال الأمم السابقة، ومن القرائن الكاشفة عن ذلك اهتمام الخليفة معاوية بن أبي سفيان والذي يعتبر أول من دوّن في العهد الأموي، حيث سجّل كل ما يرويه عبيد بن شرية عن العرب وغيرهم قبل الإسلام، حيث جمعت تحت عنوان(كتاب الملوك وأخبار الماضين)[4].

أما عن وهب بن منبه فقد كان ذو ثقافة واسعة، اطّلع على كتب الأولين وإليه ترجع (الإسرائيليات)، وهي مجموعة من الأخبار المنتشرة في الكتب العربية المستقاة من مصادر وأحاديث

---

[1]- محي الدين عبد الحسين عرار، **التدوين التاريخي في العصر اليوناني وصدر الإسلام**، دار الاعصار العلمي، عمان، ط01، 1437هـ-2016م، ص141.

[2]- شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي(ت748هـ)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط02، (1410هـ-1991م)، ج09، ص13.

[3]- فاروق فوزي، المرجع السابق، ص ص49-50.

[4]- ابن النديم، **الفهرست**، ص132.

أهل الكتاب القديمة، وله اطلاع على أخبار الجاهلية، ليس هذا فقط بل كتب كتبا عديدة منها : المغازي، حيث عثر على قطعة منه كانت موجودة في العصر العباسي، ويؤكد ذلك ابن خلكان أنه رأى كتاب وهب بن منبه عن اليمن[1]، ثم كتاب المبتدأ الذي يبدأ ببدء الخلق تناول فيه قصص الأنبياء وتوالي الرسالات وأحاديث الإسرائيليات، وقصص فترة ما قبل الإسلام، وله كذلك كتاب(أخبار الملوك المتوجه من حمير) بالإضافة إلى جهوده في جمع الأخبار من الرواة، ومنهم بعض الصحابة مثل عبد الله بن عباس وأبي هريرة ومعاذ بن جبل تعبر مجموعة الكتب التي دونها وهب بن منبه على أنه حاول كتابة تاريخ عالمي على أساس تسلسل موضوعي منذ الخليقة حتى عصر النبوة كما حاول أن يكتب تاريخا لملوك اليمن[2].

وعليه فإن المادة التاريخية التي جمعها الإخباريون القُصّاص الذين سبق ذكرهم لم تصل إلينا على شكل كتب متكاملة، بل أخذت من قبل علماء العصر العباسي وأدمجت في كتبهم في التاريخ والحديث[3] وفي ذلك يقول الذهبي: "وكثر تبويب العلم وتدوينه ورتّبت ودوّنت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس، وقبل هذا العصر كان الناس يتكلمون عن حفظهم ويروون العلم عن صحف صحيحة غير مرتبة، فسهل ولله الحمد تناول العلم، فأخذ يتناقص فلله الأمر كله"[4]. وما يمكن قوله إن التدوين التاريخي في بداياته الأولى سار في اتجاهين رئيسيين:

– الاتجاه الإسلامي: وضم في الغالب أهل الحديث والذين اهتموا بمغازي الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته وقد مثّلته مدرسة الحجاز (المدينة المنورة) وكان أبان بن عثمان بن عفان(ت95هـ) وعروة بن الزبير بن العوام (ت94هـ) وشرحبيل بن سعد (ت123هـ) وعبد الله بن أبي بكر بن حزم(ت120هـ) من رموزها[5]، وظهر من هذه المدرسة نخبة من المحدّثين المؤرّخين المشهورين على توالي العقود صنّفهم الباحثون إلى طبقات متعاقبة من أشهرهم:

---

[1]– شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان(ت681هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط01، (1367هـ-1949م)، ج05، ص88.

[2]– فاروق فوزي، المرجع السابق، ص ص50-51.

[3]– نفسه، ص51.

[4]– الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج9، ص13.

[5]– الدوري، المرجع السابق، ص19 فما بعد.

محمد بن شهاب الزهري (ت124هـ/741م) المؤرخ الأول في مدرسة المدينة وقد انتشر واتضح في عهده التدوين التاريخي، كان عالما في الأنساب وألّف كتابا في نسب قريش وأسند روايته وكتبها بصورة منظمة، وبهذا يكون قد أضاف خدمة للمدرسة التاريخية، فقد وجدت له مؤلفات عديدة في خزانة الكتب في البلاط الأموي[1] وقد استفاد منها تلاميذ مدرسة المدينة واستندوا عليها، أمثال موسى بن عقبة (141هـ/758م)[2] فقد اتبع بدقة أسلوب مدرسة المدينة فنجده يعكس تزايد تأكيد المحدثين على الإسناد، ويبدي اهتماما خاصا بذكر تواريخ الحوادث كما وقد استند كثيرا وبدرجة أولى إلى الزهري.

وحين نأتي إلى ابن إسحاق (151هـ/761م) والذي كتب في السّير والتي وصلت إلينا تقريبا كاملة فإننا نلتمس خطوط جديدة في التطور حيث ذهب في كتاباته بعيدا عن حدود مدرسة المدينة خلال جمعه بين أساليب المحدثين والقُصاص ونظرته التاريخية، فقد أدخل على كتاباته عنصر القصص الشعبي، وقد بالغ ابن إسحاق في اعتماده على الشعر وعلى "الإسرائيليات"[3]، حتى انتقده ابن سلام بشدّة في (طبقات الشعراء)، حتى قال فيه ابن النديم في كتابه الفهرست: "كان يعمل له الأشعار ويؤتي بها ويسأل أن يدخلها في كتابه في السيرة فيفعل ...وأخطأ في النسب الذي أورده في كتابه وكان يحمل عن اليهود والنصارى ويسميهم في كتبه أهل العلم الأول وأصحاب الحديث يضعفونه ويتهمونه"[4].

ولكن ابن إسحاق نال تقدير المؤرخين المحدثين وثقتهم، من بينهم الحافظ الذهبي الذي أورد في كتابه "تذكرة الحفاظ" من أثنوا على ابن إسحاق بقوله: "وقد قال ابن عيينة: ما رأيت أحدا يتهم

---

[1]- الدوري، المرجع السابق، ص28.

[2]- قال عنه ابن هشام "كان أول من صنف كتابا في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم هو إمام المغازي موسى بن عقبة بن أبي العباس الأسدي واعتبرت مغازيه من أصح المغازي، فلقد كان الإمام مالك-رحمه الله-يقول: عليكم بمغازي الرجل الصالح موسى بن عقبة، فإنها أصح المغازي، وإنه رجل ثقة طلبها على كبر السن، ولم يكن بالمدينة رجل أعلم بالمغازي منه، وقد توفي موسى بن عقبة رحمه الله في سنة (141هـ). ينظر: سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، أبي محمد عبد الملك بن هشام(ت213هـ)، **السيرة النبوية**، تح: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط01، (1416هـ-1995م)، ج01، ص10. الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، تح: عبد الرحمن بن يحي المعلمي، دائرة المعارف العثمانية، ط01، (1374هـ)، ج01 ص148.

[3]- ينظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، تح: مصطفى السقا وآخرون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط02، (1375هـ-1955م)، ج01، ص11. الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج1، ص173.

[4]- ابن النديم، **الفهرست**، ص136.

ابن إسحاق، وقيل كان قدريا وقال ابن عدي: "كان يلعب بالديوك والذي تقرر عليه العمل ان ابن إسحاق إليه المرجع في المغازي والأيام النبوية مع أنه يشذ بأشياء وأنه ليس بحجة في الحلال والحرام[1]. أما كتابه السِيّرة فقد قسمه إلى ثلاثة اقسام "المبتدأ" أو تاريخ الفترة بين التكوين ومبعث الرسول صلى الله عليه وسلم، "والمبعث" أو رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، "والمغازي" أو غزوات الرسول وسراياه.[2]رغم ما وجه من انتقاد لسِيّرة ابن إسحاق واتهامه بالتشيع وموقفه المعارض للأمويين، إلا أنها لقيت قبولا في المشرق، ووصلت إلينا منقّحة من قبل ابن هشام (ت218هـ/813م)، أخذها برواية البكائي، كما نُسب إلى ابن إسحاق كتابٌ تحت عنوان "تاريخ الخلفاء الراشدين والأمويين"[3].

أخذت الكتابة التاريخية تتطور حتى عهد الواقدي(ت207هـ-823م)[4]، درس هذا الأخير الحديث في المدينة وتميّز بين علمائها الذين جمعوا الحديث والفقه والتاريخ وقد اشتهر كتابه "المغازي" حيث أولى اهتمامه بالتاريخ الإسلامي، كان الواقدي يحرص على مُعاينة المواضيع التي وقعت فيها وقائع الإسلام الأولى ويشاهدها بنفسه وهذا ما أكسبه صفة المحقق الدقيق[5] فقد اتبع منهج التحقق من الحوادث والتقليل من الشعر والقصص الشعبي واستخدام الإسناد الجمعي، مما يدل على أنه استند على روايات مدرسة المدينة ثم أضاف إليها روايات أخرى وصلت بطرق أخرى، كما عزّز رواياته التاريخية بآيات من القرآن الكريم لها علاقة بالأحداث موضوع البحث[6] كما ألّف الواقدي كتابا آخر سماه "التاريخ الكبير" الذي عالج تاريخ الخلفاء حتى عصر الخليفة العباسي هارون الرشيد، وألّف كتابا آخر في الطبقات عنوانه "تاريخ طبقات المحدثين في الكوفة والبصرة ".

ثم جاء محمد بن سعد بن منيع البصري(ت230هـ/845م)[7] الذي اهتم هو الآخر بالحديث والأخبار والسير، بالفقه واللغة والنحو والقراءات وكان واسع الاطلاع في علم الأنساب، كان من تلاميذ مدرسة المدينة واستند على كبار المحدثين والمؤرخين أمثال الواقدي وأخذ عنهم، ألف ابن سعد

---

[1]- الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ص183.

[2]- ابن هشام، **السيرة النبوية**، ص11. وينظر أيضا: ابن النديم، **الفهرست**، ص136، الدوري، المرجع السابق، ص25.

[3]- الدوري، المرجع السابق، ص27.

[4]- عن ترجمة الواقدي، ينظر: ابن النديم، **الفهرست**، ص144.

[5]- فاروق فوزي، المرجع السابق، ص59.

[6]- الدوري، المرجع السابق، ص ص30-31. وينظر أيضا: فاروق فوزي، المرجع السابق، ص59.

[7]- عن ترجمته ينظر، ابن النديم، **الفهرست**، ص99.

كتابه " الطبقات الكبرى" مستفيدا من الواقدي الذي ألف كتابا بالعنوان نفسه، لكنه كان أكثر تنظيما لمادته وأكثر استفادة من الوثائق من الواقدي ويكون بذلك يضع اللمسات الأخيرة لهيكل السيرة[1].

-الاتجاه القبلي وقد أسست له مدرسة العراق والتي تضم الإخباريين والنسّابة الذين أكدوا على أيام العرب وأخبارها وفتوحها وأنسابها[2] لقد برزت الكتابات التاريخية التي اهتمت بالأخبار والمآثر القبلية والأنساب في العراق خاصة وقد مثلت المرحلة الثانية للتدوين التاريخي امتدت من القرن الثاني الهجري /الثامن الميلادي أين نهاية العصر الأموي بداية العصر العباسي، اهتم الإخباريون خلالها بجمع الأخبار المختلفة من الرواة والقصاص ثم تنظيمه في كتاب خاص وإن لم يبلغ التنظيم الشكل النهائي كما أنه استفاد الإخباريون من رواة مدرسة المدينة خاصة العصر الراشدي، وكذلك الاستفادة من وثائق دواوين الدولة، مثل ديوان الجند وديوان الخراج وغيرها، مَثّل هذا الاتجاه مجموعة من الإخباريين رسموا خطا للدراسات التاريخية ومن هؤلاء نذكر:

الإخباري عوانة بن الحكم[3] اهتم هذا الأخير بتاريخ الأمويين وله المعرفة الكبيرة بأحوالهم، ألّف كتابه عالج في الأول (تاريخ الخلفاء الأمويين) بتسلسل حولي أما الثاني (التاريخ الإسلامي) في القرن الأول الهجري، وكانت رواياته منقولة عن طريق ابن الكلبي والمدائني والهيثم بن عدي[4] أيضا الإخباري أبو مخنف كتب عن الفتوح والردة وعن الخوارج والمعارك كما يظهر ميله لقبيلته، مما يعكس اعتزاز القبائل بالأمصار والأقاليم التي استقرت فيها وقد أعدّه عبد العزيز الدوري من "أميز الاخباريين في العراق"[5] لأنه لم ينقل نزعته القبلية ولا الدينية في كتاباته، وننهي سلسلة الإخباريين عند علي بن محمد المدائني[6] الذي عاش في بغداد اشتهر بكتابه(أخبار الخلفاء الكبير) ضمنه الأحداث التاريخية بداية من الخلافة الراشدة مرورا بالخلافة الأموية ثم العباسية استند في كتابه على رواة مدرسة المدينة والاخباريين الذين سبقوه لكنه يعد ثقة في أوساط علماء الحديث لدقته في نقد الروايات وقد كان غزير التأليف

[1]- فاروق فوزي، المرجع السابق، ص61.

[2]- نفسه، ص50.

[3]- ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج6، ص94.

[4]- فاروق فوزي، المرجع السابق، ص65.

[5]- نفسه، ص66.

[6]- عن ترجمته ينظر: ابن النديم، **الفهرست**، ص102. ياقوت الحموي، **معجم الحموي**، ج5، ص309.

حيث عالجت مجموعة دراساته موضوعات سيرة النبي صلى الله عليه وسلم حتى نهايات العصر العباسي الأول[1].

لكن ما يلاحظ حول هذا الاتجاه أن ممثليه (الإخباريين) تحيزوا واعتزوا بقبائلهم واستندوا على رواياتها كثيرا حتى انعكس ذلك على كتاباتهم فتخللها الأسلوب القبلي مما جعل بعض المؤرخين ينتقدونها وحسب دراسة جب هاملتون لخط الدراسات التاريخية لهؤلاء الإخباريين الذين كانوا محدثين وفقهاء وحتى لغويين مما يدل على أن المجتمع دخل مرحلة الوعي التاريخي[2].

أما الصنف الثاني الذي تساير والإخباريين فهو النسّابون (دراسة الأنساب) لقد اهتم بهذا الصنف وألّف فيه مجموعة من النسّابين الذين اهتموا بالأنساب في العصر الإسلامي، وأول من كتب في الأنساب محمد بن السائب الكلبي(ت146هـ) وابنه هشام(ت204هـ) كانا من أبرز النسّابة الأوائل[3]. كتب هشام كتابا في الأنساب سماه "جمهرة النسب"، ويقال أنها نسخة موسعة ومنقحة لكتاب والده في النسب احتوت على معلومات الرجال في مختلف المجالات كما تناولت موضوعات تاريخية عن أيام العرب قبل الإسلام، وفي التاريخ الإسلامي وتاريخ الفرس[4].

وممن برز في الأنساب أبو اليقظان(ت190هـ) ونجد أيضا مصعب الزبيري(ت236هـ) ولديه كتاب "النسب الكبير" وكذلك "نسب قريش" تضمن أخبار الأنساب، نقلا عن الروايات الشفوية ونجد أيضا من كتب الأنساب كتاب "تاريخ الأشراف الكبير" لمؤلفه الهيثم بن عدي(ت206هـ) النموذج الواضح الأول في الجمع بين التاريخ والأنساب، ولعله الأول في كتابة التاريخ في إطار النسب قبل البلاذري، كما كتب بن عدي تاريخا حوليا للإسلام بعنوان(كتاب التاريخ على السنين)[5]، والذي يدل على أن مرحلة التدوين هذه شهدت بدايات كتب التاريخ الحولي (أي الكتابة على السنين)

[1]- فاروق فوزي، المرجع السابق، ص67.

[2]- نفسه، ص67.

[3]- ابن النديم، **الفهرست**، 140.

[4]- فاروق فوزي، المرجع السبق، ص68.

[5]- الدوري، المرجع السابق، ص40.

لكنها اقتصرت على قبيلة واحدة أو إقليم واحد، كما شهدت هذه المرحلة ظهور صنف آخر من التأليف اهتم بالفتوح وأخبارها وعهودها[1].

4/ تطور التدوين التاريخي خلال (القرن 4 الهجري/10 الميلادي).

مثل القرنين الثاني والثالث للهجرة البداية الحقيقية لتدوين والكتابة التاريخية وذلك لاهتمام المسلمين بعلم التاريخ، وكانت البدايات الأولى للكتابة التاريخية قد تمثلت في مدونات الإخباريين الذين عرضنا لهم سالفا فقد جمعوا شتات المعارف التاريخية الخاصة بالفترة الجاهلية من قصص أيام العرب، وأنسابها، إلى جانب معارفهم التي استقوها من المدونات القديمة المعثور عليها في الأديرة والكنائس إضافة إلى أخذهم من الإسرائيليات.

ومنذ بديات القرن الثالث ومطلع القرن الرابع الهجريين تميّز التدوين التاريخي بنظرة شمولية تراجعت فيها المفاهيم القبلية والإقليمية وتأكدت المفاهيم الإسلامية وبرز مفهوم الأمة ومال بعض المؤرخين إلى تاريخ الثقافة الإسلامية، أسفر ذلك على زيادة جوهرية في حجم المادة التاريخية التي دوّنها المسلمون، وسلكوا في هذه الفترة أنماطا جديدة ومتنوعة في التدوين التاريخي واتساق مناهج التأليف ولعل السبب في ذلك التنوع مشاركة فئة جديدة خلال هذا العصر في الكتابة التاريخية، فئة الكتاب (موظفو الدواوين) عند استقرار الدولة العباسية واستكمال مؤسساتها وإنشاء[2]، مختلف دواوينها ولاسيما دواوين الجند والإنشاء والخراج والبريد تمكن المؤرخون من الانتفاع بسجلات تلك الدواوين في إثراء مادة مؤلفاتهم التاريخية كما لا ننسى حركة الترجمة عن اللغات والعلوم الأجنبية التي تنامت في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور ثم عهد هارون الرشيد ثم بلغت مداها في عهد المأمون في مطلع القرن الثالث الهجري، حيث أنشأ بيت الحكمة وزوّدها بخيرة المترجمين[3].

إنّ اهتمام هؤلاء المؤرخين ساهم بصورة متميزة في رقي مستوى الكتابة التاريخية شكلا ومضمونا، فقد ظهرت الكتابة خلال هذه الفترة على نمط التاريخ العام العالمي وقد كانت مادته التاريخية غزيرة فقد اعتمد مؤرخو الفترة على مواد متنوعة منها كتب الإخباريين في التاريخ والسيرة

[1]- الدوري، المرجع السابق، ص48.
[2]- الوافي، المرجع السابق، ص232.
[3]- نفسه، ص233.

والمغازي وكذلك السجلات الرسمية الموجودة في الدواوين وما ترجم من اللغات الأجنبية، وعملوا على دمجه في صورة متماسكة ابتداءً من بدء الخليقة حتى العصر الذي عاشوا فيه، عُرفت هذه الكتابات بالتأليف التاريخي على النمط الحولي ومن أهم مؤرخيه نجد: خليفة بن خياط(ت240هـ) ألّف كتابه التاريخ، وأبو زرعة الدمشقي(ت280هـ) في كتابه التاريخ، والطبري(ت310هـ) في كتابه تاريخ الرسل والملوك، والذي تضمن تاريخ ما قبل الإسلام والتاريخ الإسلامي حتى سنة (302هـ)، وتمثل منهجه في كتابة التاريخية في حرصه على ذكر الأسانيد(سلسة الرواة) لكل رواية ضمنها كتابه، معتبرا أن السند هو الحكم على الرواية[1]، ونجد أيضا حمزة الأصفهاني(ت360هـ) في كتابه تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، وابن الأثير(ت630هـ) في الكامل في التاريخ، وأبو الفداء(ت732هـ) في المختصر في أخبار البشر، وغيرهم من المؤرخين الذين ساروا على هذا النمط الحولي، إلى جانب التأليف في التاريخ العام التدوين ، ظهرت تأليف السير والتراجم[2].

وهي تنقسم الى أجزاء: التراجم على الطبقات أو على الحروف المعجمية أو على الوفيات أو على القرون أو على البلدان، وعلى سبيل المثال "الطبقات الكبرى" لابن سعد، وقد تبعه خليفة بن الخياط في كتابه طبقات المحدثين[3]، إلى جانب آخر فقد شهدت هذه الفترة التدوين التاريخي في "الفتوح" لا يمكن القول بأن الكتابة على هذا النمط وليدة القرن الثالث أو القرن الرابع للهجرة، بل بدأت في القرن الأول للهجرة على شكل قصص تاريخية عن الفتوحات الإسلامية، كما أن كتب المغازي هي محور من محاور الفتوح، ومن أشهر مؤرخي الفتوحات في القرن الثالث والقرن الرابع للهجرة والذين اختصت كتبهم بإقليم من الأقاليم نذكر: الأزدي(ت231هـ) وكتابه عن فتوح الشام وابن عبد الحكم(ت257هـ) وكتابه عن فتوح مصر، كما توجد كتب في الفتوح عامة تناولت الفتوحات الإسلامية في كافة الأقاليم مثل كتاب فتوح البلدان للبلاذري، وكتاب الفتوح لابن اعثم الكوفي[4].

[1]- فاروق فوزي، المرجع السابق، ص81.

[2]- الوافي، المرجع السابق، ص248.

[3]- فاروق فوزي، المرجع السابق، ص127.

[4]- الدوري، المرجع السابق، ص49.

كما اختارت فئة أخرى من المؤرخين كتابة التاريخ في إطار" النسب"، وقد أشرنا سابقا بأن هذه الكتابات وُجدت عند المسلمين منذ القرن الأول للهجرة، أمثال كتاب "نسب قريش" لمؤلفه مصعب الزبيري وتاريخ الأشراف الكبير لابن عدي، واستمر هذا النمط إلى القرن الثالث الهجري ومن المؤرخين في هذا الصنف نجد البلاذري(ت289هـ) صاحب الأنساب، وألّف أحمد بن محمد الرازي كتاب "الاستيعاب في أنساب مشاهير أهل الأندلس" وكتب ابن حزم(ت356هـ) كتاب جمهرة أنساب العرب وابن الأثير" اللباب في تهذيب الأنساب"[1]، وغيرها من المؤلفات في هذا النمط.

لقد شهد القرن الرابع الهجري تدوينا وتنظيما للمادة التاريخية فلم تكن كتاباتهم تقتصر على مجرد جمع للأخبار فقط كما كانت عليه حال الكتابة التاريخية في القرن الأول ومطع القرن الثاني للهجرة، حيث اهتموا بنقل الخبر فقط دون مراعاة الأسلوب أما القرن الرابع الهجري فقد تميزت به الكتابة التاريخية بأسلوبين: أولهما أسلوب الكتابة المرسلة أو الأسلوب المرسل، مثلما فعل الطبري والمسعودي وابن الأثير والبغدادي وابن الجوزي والثاني الأسلوب الأدبي المتأنّق ويظهر في كتب التنوخي وابن مسكويه[2]، فقد عمل هؤلاء المؤرخين على إثراء المعرفة التاريخية حتى صارت تُطلب لذاتها واتضح الهدف من كتابة التاريخ لا استلهاما وإنما لأخذ الدروس والعبر من أحداث الماضي.

أما عن تنظيم المادة التاريخية فقد ظهرت أنماط وتصنيفات متنوعة كما أشرنا إليها سابقا حيث أن كتابتهم لم تعد تقتصر على تدوين أحداث مرحلة النبوة فقط، وبهذا تغير مفهوم التاريخ منذ القرن الثالث للهجرة من مجرّد علم ينصب على أخبار الجاهلية وعلى السير والمغازي والفتوح والطبقات إلى علم يشمل التواريخ العامة سواء تاريخ الأمة الإسلامية أو تاريخ الأمم الأخرى واستمر التدوين التاريخي على هذه الأنماط وبمناهج مختلفة سار عليها مؤرخو القرن الرابع الهجري وما بعده خاصة وأنهم لقوا اهتماما كبيرا وتشجيعا من طرف الخلفاء والحكام استمر هذا التيار الشامل في تدوين الأخبار في شتى الأنماط قائما ومتواصلا عبر القرون فدوّن مؤرخون لا يحصى عددهم وزخرت مكتبات الدولة الإسلامية بكتبهم ووضعت آلاف المخطوطات.

[1]- فاروق فوزي، المرجع السابق، ص1.

[2]- نفسه، ص86.

ومع مطلع القرن الخامس الهجري أخذ مد الدولة العباسية والفاطمية في مصر والشام ينحصر لتحل مكانه سيطرة الأتراك والتركمان والمماليك[1] ناهيك عن الحروب الخارجية مع الصلبيين زعزعت أوضاع العالم الإسلامي وهدد أمن البلاد الإسلامية، هذا الاضطراب السياسي الذي مُنيت به الدول الإسلامية أثّر على جهود علماء التأليف التاريخي، وأعقب عظام المؤرخين المسلمين المبدعين مؤرخون لم يعد لهم عندئذ من هم سوى الإكباب على جهود أسلافهم في التأليف التاريخي فنظروا في كتبهم وتوقفوا عند دراستها وإعادة النظر فيها ومحاولة تقليدها بل على اختصارها أو شرحها أو تطويل مباحثها أو غربلتها من أسانيدها وبروز ظاهرة الذيول والتكملة وصلة التكملة[2].

كل هذا مثّل جمودا فكريا عند علماء التأليف التاريخي إذ توقف معين الإبداع وبذلك أصبحت كتب التاريخ مجرد ذيول وشروح ومختصرات لمؤلفات السلف، هذا هو حال العلم وأهله في مراحل التدهور، وخلال هذه المرحلة ظهرت فئة من المؤرخين تميزوا بالإبداع الفكري، واستطاعوا دراسة المؤلفات التاريخية ونقدها، كانت أعمالهم النقدية المنهجية جبارة لم ينسج على منوالها أحد من المؤرخين، في عصر انعدمت فيه القدرة على إضافة الجديد على مستوى التأليف التاريخي.

[1]- الوافي، المرجع السابق، ص249.

[2]- فاروق فوزي، المرجع السابق، ص76.

المبحث الثاني: أسباب التدوين التاريخي عند المسلمين ودور الحكام في تنشيط حركة التأليف.

1/أسباب التدوين التاريخي عند العرب المسلمين.

ازداد اهتمام العرب المسلمين بالكتابة التاريخية بعد الإسلام، واتسعت أفقها بعد ان رسخ علم التاريخ، كل ذلك يرجع الى مجموعة من الدوافع اقتضتها حاجيات الأمة الإسلامية وأبرز العوامل التي دعت الى الكتابة التاريخية تتمثل فيما يلي:

-تفسير القرءان الكريم: لجأ مفسري القرآن الكريم إلى البحث عن معلومات تاريخية لتفسير ما جاء فيه ومناسبة نزول الآيات وأخذ العبرة من الأمم السابقة[1]، فأخذوا من الإسرائيليات لكثرة الإشارات في القرآن عن الأمم والقبائل والأنبياء لفهمها وربطها بالتفسير والتاريخ.[2]إلى جانب التفسير قدّم المسلمون العناية بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومغازيه وأحاديثه وأخبار عصره، مما دفع إلى نشوء هذا الفرع من التاريخ الإسلامي الذي سمي بالسيرة والمغازي[3].

- الفتوحات الإسلامية: احتاجت الدولة الإسلامية إلى تسجيل فتوحاتها الإسلامية، كحدث سياسي للتعبير عن وجودها[4] إضافة إلى ظهور مشاكل بعد الفتوحات تتعلق بالإدارة السياسية والمالية في الأقاليم المفتوحة[5].

- التقويم الهجري: ساهم وضع التقويم الهجري الذي وضعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تزمين الأحداث ومنع الاختلاط بين الوقائع التاريخية بعضها ببعض بين عصر وعصر وشخص وآخر[6] مما شجّع على الكتابة في التاريخ.

---

[1]- محي الدين عرار، المرجع السابق، ص153.

[2]- حسين نصار، المرجع السابق، ص08.

[3]- فاروق فوزي، المرجع السابق، ص43.

[4]- شاكر مصطفى، **التاريخ العربي والمؤرخون (دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام)**، دار العلم للملايين بيروت، ط03، 1983م، ج01، ص54.

[5]- فاروق فوزي، المرجع السابق، ص43.

[6]- محي الدين عرار، المرجع السابق، ص156.

– تأسيس الدواوين: كان لتأسيس ديوان الجند "الديوان"، وهو سجل تسجل فيه أسماء المقاتلين وعيالهم، أثرا في دفع عملية التدوين والاهتمام بأخبار القبائل وأنسابها، حيث تمكن المؤرخون من الانتفاع بسجلات تلك الدواوين في إثراء مادة مؤلفاتهم.

–حركة الترجمة وصناعة الورق: وإننا نعلم أنّ حركة الترجمة عن اللغات الأجنبة قد بدأت منذ عصر بني أمية، حيث ترجمت بعض كتب الطب والنجوم والكيمياء من اللغات الإغريقية والسريانية وغيرها من اللغات، ثم تنامت هذه الحركة في عصر العباسيين منذ عهد الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور وبلغت مداها مطلع القرن الثالث الهجري، اهتم العباسيون بترجمة آثار الأمم الأخرى في شتى العلوم كما أولوا اهتماما كبيرا بترجمة التاريخ من أجل التزود بأخبار البلدان المفتوحة في الفترات التي سبقت دخول شعوبها الاسلام[1].

– أما بالنسبة إلى صناعة الورق داخل العالم الإسلامي ابتدأ من العصر العباسي الأول القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي كان له أثر كبير في التشجيع على حركة التأليف حيث سهل عملية التدوين ونسخ المخطوطات والمؤلفات مما زاد تداولها، كما ظهرت للورق أسواق خاصة هي سوق الورّاقين[2] وغيرها من الأسباب التي دعت المسلمين للكتابة التاريخية والتي لا يسعنا المجال لذكرها.

2/دور الحكام في تنشيط حركة التأليف.

لقد كان للخلفاء دور كبير في تنشيط حركة التأليف، فقد أولى الخلفاء والأمراء والعمال اهتماما بالتاريخ والمؤرخين، لضمان تسجيل جلائل أعمالهم وإنجازاتهم وفتوحاتهم وحروبهم، إضافة إلى تدوين تاريخ أسراتهم الحاكمة، والتنويه بفترات حكمهم، كي تحفظها كتب التاريخ للأجيال التالية من أبناء الأمة[3]، ومن هؤلاء معاوية بن أبي سفيان الذي استدعى عبيد بن شرية من صنعاء، ليسأله عن ملوك العرب والعجم وكان يأمر غلمانه بتدوينها، حيث جمعت تحت عنوان (كتاب الملوك وأخبار الماضيين).

[1]– الوافي، المرجع السابق، ص ص233–234.

[2]– نفسه، ص237.

[3]– نفسه، ص236.

وقد أورد حسين نصار نقلا عن المسعودي "عن معاوية أنه كان بعد أن يفرغ من عمله يستمر إلى ثلث الليل في أخبار العرب وأيامها، والعجم وملوكها، وسياستها ورعيتها وغير ذلك من أخبار الأمم السالفة ... ثم يدخل فينام ثلث الليل، ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارها، والحروب والمكائد، فيقرأ ذلك على غلمان له مقربون، وقد وكلوا بحفظها وقراءتها، فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الأخبار والسير والآثار وأنواع السياسات". كما أن هشام بن عبد الملك وضع لابن شهاب الزهري كاتبين يكتبان عنه وبعد وفاته وجدت له أكواما من الكتب في الخزائن الأموية[1].

أما عن الخلفاء العباسيين فقد حذوا حذو أسلافهم الأمويين في تشجيعهم على التدوين وذلك لدوافع عديدة وشخصية، ذلك أن العباسيين كانوا من آل البيت، وهم أحوج ما يكون لدعم سلطتهم السياسية إلى التاريخ الذي يروي إنجازات الرسول صلى الله عليه وسلم وذريته من آل البيت لإثبات حقوقهم في القربة والحرمة وما إلى ذلك[2].

ومن الكتب التي أُلّفت بأمر من الخلفاء العباسيين "كتاب السيرة" لابن إسحاق بطلب من الخليفة المنصور لتثقيف ولي عهده المهدي، كما أمر هذا الأخير عند توليه الخلافة بجمع كتب الأغاني، وألّف كتبا عديدة بعد ذلك للرشيد والمأمون[3].

وبما أن موضوع دراستنا خُصّص للقرن الخامس الهجري وما بعده وحين صارت مصر "أم العالم، وإيوان الإسلام، وينبوع العلم"[4]، وأثناء حكم المماليك الذين ازدهر في عهدهم نشاط حركة التأليف، حيث لقي هذا النشاط تشجيع من طرف سلاطين المماليك للعلم والعلماء فقد ذكرت المصادر التاريخية أن الظاهر بيبرس، كان يقرّب إليه أرباب الكمالات من كل فن وعلم، وكان يميل إلى التاريخ وأهله ميلا زائدا، ويقول: "سماع التاريخ أعظم من التجارب"[5].

---

[1]- شاكر مصطفى، المرجع السابق، ص44.

[2]- فاروق فوزي، المرجع السابق، ص44.

[3]- شاكر مصطفى، المرجع السابق، ص68.

[4]- ابن خلدون، **العبر**، ج2، ص363.

[5]- جمال الدين أبي المحاسن يوسف ابن تغري بردي(ت874هـ)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط01، (1357هـ-1938م)، ج07، ص182.

أما عن الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون والذي حكم بين(748هـ-762هـ/1347م-1361م)، يقول ابن حجر العسقلاني " ...كان مفرطا في الذكاء ...اشتغل بالعلم كثيرا حتى نسخ دلائل النبوة للبيهقي بخطه..."[1]. وينطبق ذلك على بقية السلاطين والذين لا يسعنا المجال لذكرهم، كما عمل هؤلاء السلاطين على تقريب العلماء في البلاط واستشارتهم، وتشير المصادر إلى أن السلطان سيف الدين قطز لما خرج لمواجهة التتار، جمع الأمراء ...ومشايخ العلم وكان في ذلك الوقت الشيخ عز الدين بن عبد السلام....فأشار عليه بالخروج، وقد ساهموا في بناء المدارس والتي سهلت الطرق في طلب العلم، ومن ذلك نجد المدرسة الظاهرية والتي تم بناؤها من طرف السلطان الظاهر بيبرس، المدرسة المنصورية أنشأها في مصر السلطان المنصور سيف الدين قلاوون وغيرها من المدارس، كما وقد عملوا على توفير الحياة الكريمة والدخل الذي يكفل هؤلاء العلماء مستوى مرموقا من العيش[2]، كانت هذه لمحة مختصرة عن اهتمام سلاطين المماليك بالعلم والعلماء.

نتيجة لما تقدم ذكره وباعتبار أن التدوين التاريخي عند العرب يرجع إلى القرن الثاني للهجرة فهذا لا يعني أن العرب في جاهليتهم لم تكن لهم أي دراية بالتاريخ وبالأحداث التاريخية، وما إن جاء الإسلام زاد الإحساس التاريخي عند العرب المسلمين فاهتموا بتدوين القرآن وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومغازيه، إلى جانب هؤلاء ظهرت فئة اهتمت بالمعارف التاريخية وهم الإخباريون الذين كتبوا مؤلفاتهم نقلا عن الروايات الشفوية وكانوا بذلك قد وضعوا الأسس الأولى للتأليف التاريخي.

وعند منتصف القرن الثالث ومطلع القرن الرابع الهجري أخذت تظهر بدايات التأليف التاريخي بمعناه الواسع بل تعددت أنماط الكتابة التاريخية حسب الحاجة ورغبة المؤلف أعقب فترة الازدهار العلمي هذه جمود فكري وتوقف معين الإبداع من قبل المؤرخين بتوقفهم على مؤلفات أسلافهم فقلدوها واختصروها وأعادوا شرحها فأصبحت كتب التاريخ عبارة عن ذيول ومختصرات للمؤلفات السالفة، وهذا ما سنحاول دراسته في الفصل التالي والذي تتمحور إشكاليته حول مظاهر التقليد في التدوين التاريخي بداية من القرن الخامس الهجري فما بعد.

---

[1]- شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر العسقلاني(ت852هـ)، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تح: محمد عبد المعيد ضان، دار المعارف العثمانية، الهند، (1392هـ-1972م)، ج02، ص149.

[2]- جلال يوسف العطاري، **حركة التأليف العلمي في مصر والشام (في العصر المملوكي الأول)**، دار الفكر، عمان، ط01، (1432هـ-2011م)، ص ص13-14.

الفصل الأول:

مظاهر التقليد في التدوين التاريخي القرن (5هـ-9هـ/11م-15م)

مثل القرنين الثالث والرابع الهجريين بدايات التأليف بمعناه الواسع حيث تعددت أنماط الكتابة التاريخية وأسست مناهجها، كل ذلك يرجع لغزارة المادة التاريخية التي ساعدت في التأليف فاهتم المؤرخون بجمع الحوادث والوقائع التاريخية وأودعوها في مصنّفات ومؤلفات ضخمة عبّرت عن فترة ازدهار علمي وفكري للحضارة الإسلامية.

لكن ما أصاب المشرق الإسلامي فيما بين القرنين الخامس والسابع من هجمة السلاجقة وعدوان الفرنج والمقاومة له والهجوم المغولي، فإننا لا نكاد نجد سوى اكباب المؤرخين على مؤلفات أسلافهم، حيث توقف عندهم معين الإبداع والابتكار والتجديد، وبذلك كان الاهتمام بالتاريخ لكن من غير جديد، وعن هؤلاء يقول ابن خلدون"...ثم لم يأتي من بعد هؤلاء إلا مقلد بليد الطبع والعقل، أو متبلد ينسج على ذلك المنوال ويحتذي منه بالمثال، ويذهل عما أحالته الأيام من الأحوال"[1].

ويعطي ابن خلدون لمفهوم التقليد في مجال علم التاريخ معنى يتفق مع تصوره لهذا العلم فنقد التقليد هنا يعني رفض كل خبر تاريخي لا تسنده قوانين العمران[2]، فعلى العقل أن يسترد كل حقه في النقد، وفي ذلك يقول "والمؤرخون الناقلون يعيدون وهم ذاهلون إنتاج أخبار أنشئت فيما مضى ومن أجل أعيان ولوامع أزمان خلت، ولقد قدّم ابن خلدون نصا يبين إلى أي مدى عميت بصيرة المقلدين من المؤرخين يقول: "ومن هذا الباب أيضا ما يسلكه المؤرخون عند ذكر الدول ونسق ملوكها، فيذكرون اسمه ونسبه وأباه وأمه ونساءه ولقبه وخاتمه وقاضيه وحاجبه ووزيره، كل ذلك تقليد لمؤرخي الدولتين من غير تفطن لمقاصدهم والمؤرخون لذلك العهد كانوا يضعون تواريخهم لأهل الدولة وأبنائها متشوقون إلى سير أسلافهم ومعرفة أحوالهم ليقتفوا آثارهم..."[3].

كما أننا نجد في "المقدمة" لابن خلدون "نقد التقليد" يحتل مكانا بارزا في الجزء الخاص لنقد التاريخ ويتضح ذلك من خلال تعدد لفظ (تقليد)، فنجد كلمة (التقليد ص3، مقلد ص4، نقل ص5 ناقلون ص28، خبر منقول ص28، قياس ص29، قاسوها بأشباهها، ص9، اتباعا للمتقدمين ص5).

---

[1]- ابن خلدون، **المقدمة**، ص5.

[2]- علي أو مليل، **الخطاب التاريخي (دراسة لمنهجية ابن خلدون)**، دار التنوير، بيروت، ط03، 1985م، ص65.

[3]- ابن خلدون، **المقدمة**، ص ص31-32.

المبحث الأول: التقليد المنهجي.

المطلب الأول: عدم العناية بالمصادر.

للاهتمام بالتاريخ وتسجيل أحداثه لابد من الاطلاع على المصادر التي تعتبر مادة أولية للبحوث التاريخية والدراسات الأكاديمية وذلك من أجل الإلمام بجوانبه السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية فقد اشتهرت مقولة بين الباحثين في التاريخ وهي: "لا تاريخ بدون مصادر" إذ أنها تعتبر منهل المؤرخين والباحثين لاستسقاء المادة التي تزوّد مؤلفاتهم وأبحاثهم، وغاية المؤرخ من المصدر هي الوصول إلى الحقيقة لأن تلك المصادر تحمل بين دفاتها أحداث ووقائع عايشها أصحابها أو نقلوها من عند غيرهم من المؤرخين الذين يُشهد لهم بالثقة والمعرفة التاريخية[1].

والمسلمون كغيرهم من الشعوب اهتموا بالتاريخ ودوّنوه وكان القرآن الكريم أولى المصادر التي اعتمدوا عليها، ومع منتصف القرن الثاني للهجرة اتضحت معالم التدوين التاريخي عند المسلمين فانقسموا إلى اتجاهين: الاتجاه الأول مضى نحو كتابة المغازي وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم واعتمدوا على منهج الإسناد والعناية بالحقيقة وتحرّي الدقة في النقل، أما الاتجاه الثاني فقد اهتم أصحابه بجمع الأخبار في مدونات والتي كان مصدرها الرئيسي الرواية التاريخية.

وبينما كان بعض المؤرخين يهتمون كثيرا بالمصادر التاريخية وذلك من خلال الاهتمام بذكر الأسانيد ظهرت فئة أخرى من المؤرخين أسقطوا تلك الأسانيد وتخلوا عن العنعنة بتصديق الواقعة واستقرت الروايات في تواريخهم ولم تعد بحاجة الى أن تسندها أسانيد، فلسلطان المعنوي لهؤلاء كاف وحده لضمان صحتها، واستقر الخطأ وصار متناقل عبر أجيال المؤرخين.

فاكتفى اليعقوبي بذكر مصادره وأسماء الرواة الذين نقل عنهم في صدر كتابه "تاريخ اليعقوبي" دون متنه، ويمضي المسعودي هو الآخر في سرد الأحداث والوقائع دون سند أو نسبة في المتن، ولكنه

[1]- محمد بن صامل السلمي، **منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه**، درا الوفاء، المنصورة، ط1، (1408هـ-1988م)، ص96.

يذكر مصادره من الرواة والمصنّفين والمؤرخين في مقدمة كتابه "مروج الذهب"، ويدقّق في نقل الرواية عنهم فيقبل أو يرفض، بل إنه كان يزن كل مؤرّخ بصدقه ودقته[1].

ومن المؤرخين الذين لم يهتموا بالمصادر والإحالة إليها في كتبهم نذكر مؤرخ القرن السابع الهجري ابن الاثير الذي أسقط هو الآخر الأسانيد وأهمل ذكر مصادره، وأفرد ذكر الطبري في مقدمته من بين المصادر التي اكتفى بالتعريف بها بقوله "إني لم أنقل إلا من التواريخ المذكورة والكتب المشهورة ممن يعلم بصدقهم فيما نقلوه وصحة ما دونوه"[2].

كما أن هذه الظاهرة واضحة عند المؤرخ المغربي ابن خلدون(ت808هـ)، عند قراءتنا لمؤلفاته نلاحظ أنه لا يذكر مصادره التي نقل عنها وكأنه عايش الأحداث والوقائع التي احتوتها كتبه ولأن المؤرخون المسلمون لا يجدون في أحيان كثيرة حرجا في النقل نقلا مباشرا عن مؤلفات سابقيهم بل وحتى معاصريهم أحيانا، وكان بعضهم يحرص على ذكر اسم الكتاب والمؤلف الذي نقل عنه في حين يغفل البعض عن ذكرهم لذلك ولأن النقل كان أمرا شائعا، وقد اعتمدوا الجمع فقط دون الالتفات إلى نقد الروايات من حيث المتن لأن النقد كان منصبا فقط على صحة السند[3].

وما أكثرهم ممن سار على هذا النسق إلا أن هذه الظاهرة ليست بالمحمودة لأنها تولد الشك في المعلومة التي أتى بها صاحبها دون الإحالة الى مصدرها خاصة وان لم تكن من أحداث عصره وهي اليوم في الدراسات الاكاديمية ما يسمى بالسرقة العلمية.

المطلب الثاني: السردية التاريخية.

إن من القضايا المنهجية التي عانى منها التدوين التاريخي والتي أثرت عليه سلبا، وهي مشكلة "السرد التاريخي" التي سار عليها المؤرخون الذين ألفوا كتبا ضخمة لسرد أحداث التاريخ، دون تحليل

[1]- عبد العليم عبد الرحمن خضر، **المسلمون وكتابة التاريخ (دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ)**، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط1، (1415هـ-1990م)، ص206.

[2]- ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، تح: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الأردن، ط1، (د-ت)، ج1، ص2.

[3]- الوافي، المرجع السابق، ص239.

وتمحيص ونقد، وذلك منذ أن بدأ المسلمون يهتمون بكتابة تاريخهم زمن القرون الهجرية الأولى وفي ذلك يقول ابن خلدون:(إن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود...)[1].

وإن المتتبع للبدايات الأولى للتدوين التاريخي فإنه يجد أن علم التاريخ تساير وعلم الحديث الذي أولوا له اهتماما كبيرا من جمع للرواية ووضعوا له قواعد لتحقق من صحة الروايات تمثلت تلك القواعد في علم الجرح والتعديل، والذي أسسه علماء الحديث لنقد الرواة فهو يقوم على معرفة صفة من تقبل روايته ومن ترد وما يتعلق بذلك من قدح وجرح وتوثيق وتعديل وهذا ما فقدته الرواية التاريخية، فالأحداث التاريخية من دون تحليل وفهم عمل ساذج محدود النفع.

ولم تقتصر مشكلة السرد التاريخي على مدونات المؤرخين الأوائل فقط بل استمرت الى المراحل التي اتخذت فيها الكتابة التاريخية طرق ومناهج وتوارثها المؤرخون من قرون خلت وتعددت النصوص والمتون التاريخية التي تحمل تاريخا يميل الى القصة التي اقتضاها منطق السَرد على حساب المنهج العلمي التاريخي، فنجد كثيرا من المؤرخين يكررون في مؤلفاتهم نفس المادة ولا يتفاعلون معها وكأنه لا علاقة لهم بها فترد تلك الأخبار على شكل أسانيد ومرويات من دون زيادة أو نقصان لتصبح بعد ذلك مهمة المؤرخ النقل المجرد لما سمع ولو كان متناقضا.

يقول العلامة ابن خلدون منتقدا الكتابات التاريخية السابقة: "...إن فحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها... وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل ووهموا فيها وابتدعوها، وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها وأدوها إلينا كما سمعوها، ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحداث ولم يراعوها ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولا دفعوها فالتحقيق قليل، ... والتطفل على الفنون عريض طويل... ولما كان الكذب متطرقا إلى الخبر بطبيعته، وله أسباب تقتضيه ومنها التشيعات والآراء للمذاهب... أعطته حقه في التمحيص حتى يتبين صدقه من كذبه"[2]. انتقد ابن خلدون من سبقه من المؤرخين من حيث نقلهم للأخبار دون تبصر ودون اعتبار للظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والتي لها الدور الكبير في تبلور الحدث التاريخي وقد ذكر لنا في مقدمته التي جاءت حول علم التاريخ وأسسه، بعض المؤرخين الذين اعتمدوا النقل والسرد التاريخي

[1]- ابن خلدون، **المقدمة**، ص9.

[2]- نفسه، ص7.

دون تمحيص ونقد للرواية التاريخية كما أنهم أوردوها بالشك وأحيانا بالكذب، ومن ذلك ما نقله المسعودي وغيرهم من المؤرخين في واقعة جيوش بني إسرائيل، وأن موسى عليه السلام أحصاهم في التيه، بعد أن أجاز من يطيق حمل السلاح خاصة من ابن عشرين فما فوقها فكانوا ستمائة ألف أو يزيدون، ويذهل في ذلك عن تقدير مصر والشام واتساعهما لمثل هذا العدد من الجيوش، فلكل مملكة من الممالك حصة من الحامية تتسع لها وتقوم بوظائفها وتضيق عما فوقها تشهد بذلك العوائد المعروفة والأحوال المألوفة، ثم أن هذه الجيوش البالغة إلى هذا العدد يبعد أن يقع بينها زحف أو قتال لضيق ساحة الأرض عنها، وبعدها إذا اصطفت عن مدى البصر مرتين وثلاث أو أزيد فكيف يقتتل هذان الفريقان أو تكون غلبة أحد الصفين، وشيء من جوانبه لا تشعر بالجانب الآخر والحاضر يشهد بذلك..."[1] وغيرها من الحوادث التي نقلها ابن خلدون عن المسعودي والتي يتضح فيها المنهج السردي والنقل المفرط في جمعه لمادة مؤلفاته.

يتضح مما نقله لنا ابن خلدون عن المسعودي أن نقله لهذه الحادثة الغير منطقية من غير تحقيق وتمعن وتأكد من صدق أو كذب وقوع الحادثة ولا يتهمه بالكذب لأن ابن خلدون يعتبر المسعودي من الذين يشهد لهم بفضل الشهرة والأمانة المعتبرة، وليس كل المؤرخين الأوائل تضمنت مؤلفاتهم السرد والنقل من غير تمحيص وتحليل، فمثلا نجد الطبري مؤرخ القرن الرابع يربط بين التأريخ والحديث من جهة الأسلوب وتمحيص الأخبار، فصحة النقل عنده هي التي تكفل صحة الخبر، أما الخبر الذي يستشنعه العقل فإنه يُرى على ذمة راويه لا على ذمة المؤرخ[2].

وبهذا الرأي يمكن أن يجعل من المؤرخ جامعا للأخبار دون التحقق في مدى صحتها وثبوتها وعدم اهتمام المؤرخين بالمعرفة التاريخية.

واستمرت ظاهرة السرد التاريخي إلى غاية القرن الخامس فما بعد حيث اعتمدوا على النقل للرواية التاريخية كما هي دون إخضاعها للتحليل والنقد ومن أمثلة ذلك نذكر ما نقله ابن كثير عن عدد بني إسرائيل الذين دخلوا مصر مع يعقوب عليه السلام قال: (وكان جملة من قدم مع يعقوب، مع بنيه وأولاده، فيما قاله ابن إسحاق السبيعي عن أبي عبيدة عن ابن مسعود: ثلاثة وستين إنسانا

[1]- ابن خلدون، **المقدمة**، ص ص9-10.

[2]- صابة محمد، **علم التاريخ ومجال المعرفة التاريخية وموقف المؤرخين منهما ابن خلدون أنموذجا**، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، العدد 2، تيارت، أفريل2022، ص33.

وقال موسى بن عقبة عن محمد بن كعب، عن عبد الله بن شدّاد: كانوا ثلاثة وثمانين إنسانا، وقال أبو إسحاق عن مسروق: دخلوا وهم ثلاثمائة وتسعون إنسانا قالوا وخرجوا مع موسى وهم أزيد من ستمائة ألف مقاتل، وفي نص أهل الكتاب: أنهم كانوا سبعين نفسا، وسموهم)[1].

وحول هذا يقول عبد الحميد الصائب "لا يمكن ترجيح لأحد هذه الأقوال، ولا مناقشة لقولهم (خرجوا مع موسى وهم أزيد من ستمئة ألف مقاتل) فكيف تكاثر هذا النسل إلى هذا الحد مع قصر الفترة التي لا تزيد عن أربعة أجيال؟ إن ابن كثير نفسه يذكر-كغيره-في ترجمة موسى بن عمران بن قاهت بن عازر بن لاوي بن يعقوب ولاوي بن يعقوب هو أحد أبناء يعقوب الذين دخلوا معه مصر وهم 390 إنسانا بحسب الأرقام وبينه وبين موسى ثلاثة أجيال لا غير الأمر الذي ناقشه ابن خلدون بالتفصيل وانتقد لأجله المؤرخين[2].

ومن ذلك ما نقله عن ابن عباس أنه قال: (كبّرت الملائكة على آدم أربعا، وكبّر أبو بكر على فاطمة أربعا وكبّر عمر على أبي بكر أربعا، وكبّر صهيب على عمر أربعا) نقله عن ابن عساكر دون مناقشة، وقد علم أن أبا بكر لم يصل على فاطمة ولا شهد تشييعها والصلاة عليها ودفنها وهذا هو الثابت عند أصحاب الحديث وأصحاب السير[3]. لكن ما يلاحظ عن ابن كثير أنه في بعض الأحيان كان ناقدا للأخبار على مذهب أهل الجرح والتعديل.

وتبقى مؤلفات هؤلاء إضافة علمية للحضارة الإسلامية لكن لا بد لنا أن نقف عند رؤية ابن خلدون للتاريخ وقوله (أن التاريخ ليس مجرد نقل أو حكي لأخبار من سبقنا من الأمم والمجتمعات بل هو علم دقيق قويم أساسه المعارف والعلوم فكل العلوم تساهم في تكوين المعرفة التاريخية من أجل تحقيق معرفة تاريخية يقينية واعية بالأحداث الماضية[4].

---

[1]- ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج1، ص251.

[2]- صائب عبد الحميد، **علم التاريخ ومناهج المؤرخين (في علم التاريخ نشأة وتدوينا ونقدا وفلسفة ومناهج كبار مؤرخي الإسلام)**، مركز الغدير بيروت، ط2، (1429هـ-2008م)، ص234.

[3]- نفسه، ص235.

[4]- ابن خلدون، **العبر**، ص12.

المطلب الثالث: المنهج الحدثي (التاريخ الحولي):

تنوعت الكتابات التاريخية عند المسلمين وتعددت أنماطها فكتبوا في السِيّر والمغازي، وفي الأنساب والطبقات، تطورت كتاباتهم مع الوقت حتى وضعوا لها مناهجا من أجل ضبط الأحداث التاريخية، ومن بين هذه المناهج نذكر:

المنهج الحولي: وهو الذي يعتمد سرد الأحداث بحسب السنين، فيبدأ كل قسم بأحداث سنة من السنين، فإذا انتهت السنة افتتح قسما جديدا بعنوان سنة (أحداث سنة كذا)، أو ثم دخلت سنة كذا، فتأتي فيه الحادثة التاريخية التي امتدت إلى أكثر من سنة مقطعة غير متصلة فقبل أن ينتهي المؤرخ من تفصيل الحادثة التي امتدت إلى أكثر من سنة، ويدخل في الأثناء أخبار عن حوادث أخرى تداخلت معها زمنيا ويؤخر تتمة الحادثة الأولى إلى القسم الخاص بأحداث السنة اللاحقة[1].

وقد توصّل العلماء المسلمون في صياغة المعلومات التاريخية في إطار المنهج منذ إدخال التقويم الهجري، فقد وجد هذا المنهج متبعا في العراق منذ النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ونظرتهم إلى التاريخ على السنين هي الوسيلة الملائمة للغرض التاريخي، ومن المؤرخين الذي كتبوا في هذا السياق نجد ابن القفطي(الذي يقرر أنه من السهل على الباحث الحصول على أوثق الأخبار التاريخية من بدء الخليقة، إلى السنة التي كتب فيها، ونجد كذلك أبو جعفر الطبري الذي اتبع هذا المنهج في تدوين تاريخ العالم منذ البدء حتى سنة (309هـ)، وكذلك كتاب (ثابت) الذي يداخل الطبري في بعض السنين ويصل الى سنة (363هـ)، وكتاب الفرغاني الذي ذيل به كتاب الطبري.

وتستمر كتابات المؤرخين المسلمين على هذا المنهج إلى غاية القرنين الخامس والسادس الهجريين فمن خلال التبحر في مؤلفاتهم الضخمة نجد مادتهم التاريخية مرتبة ترتيبا حوليا، ومن أهم من سار على هذا المنهج من مؤرخي القرن الخامس: ابن الجوزي، وابن كثير، وأبو الفداء، وابن الأثير الذي اتبع منهج التسجيل الحولي وذكر الأحداث الصغرى وبعض الوفيات في كل سنة، وتطور هذا المنهج عند الذهبي(748هـ) في "تاريخ الإسلام" إلى "نظام العقود" بدلا من السنين فيؤرخ الأحداث من السنة الأولى إلى السنة العاشرة ثم من الحادية عشر إلى العشرين وهكذا[2]، وتعتبر الطريقة الأنسب

[1]- صائب عبد الحميد، المرجع السابق، ص152.

[2]- نفسه، ص152.

وذلك لعدم تقطع الأحداث في ترتيبها على السنين فعيب المنهج الحولي أنه يمزق الحادثة التاريخية الطويلة التي تتواصل وتمتد إلى عدد من السنين فلا يذكر المؤرخ الذي يتبع المنهج الحولي فيها إلا ما يخص حوادث السنة التي يجمع كل أحداثها فإن كان لهذه الحادثة بقية في السنة الثانية والثالثة ذكرها متفرقة ممزقة في جملة أحداث كل سنة[1] وقد كتب ابن الجوزي مثل الذهبي كتابا عن "عصور الرجال المعروفين" رتب فيه من توفوا في العقد الثالث تقريبا من حياتهم بمجموعات ودرس كل مجموعة على انفراد، وظهر ذلك أيضا في مؤلفات الغبريني وابن حجر والسخاوي وابن العيدروس وغيرهم[2].

وقد انتقد ابن الأثير هذا المنهج الحولي في مقدمة كتابه الكامل حيث قال " ورأيتهم[3] يذكرون الحادثة الواحدة في سنين ويذكرون منها في كل شهر أشياء فتأتي الحادثة مقطعة لا يحصل منها على غرض ولا تفهم إلا بعد إمعان نظر فذكرت أنا الحادثة الواحدة في موضع واحد وذكرت كل شيء منها في أي شهر أو سنة كانت فأتت متتابعة، قد أخذ بعضها برقاب بعض، وذكرت في كل سنة لكل حادثة كبيرة مشهورة ترجمة تخصها فأما الحوادث الصغيرة التي لا يتحمل منها كل شيء ترجمة فإنني أفردت لجميعها ترجمة واحدة في آخر كل سنة فأقول: ذكر عدة حوادث وإذا ذكرت بعضا من تبع وملك في قطر من البلاد ولم تطل أيامه، فإني أذكر جميع حاله من أوله إلى آخره عند ابتداء أمره لأنه إذا تفرق خبره لم يعرف للجهل به وذكرت في آخر كل سنة من توفي بها من مشهوري العلماء والأعيان والفضلاء وضبطت الأسماء المشتبهة والمؤتلفة في الخط المختلفة في اللفظ، الواردة فيه بالحروف ضبطا يزيل الإشكال ويغني عن الانقاط والأشكال[4].

وحول نشأة المنهج الحولي والكتابة الحولية هل هي عربية أم وجدت من قبل عند الفرس فإننا نقف عند رأي فرانز روزنثال حول جذور منهج الكتابة الحولية فهو ينفي بداية أن يكون هناك تأثير فارسي على المؤرخين المسلمين حيث يقول: ليس هناك ما يمكننا من الاقتناع بأن الفرس استخدموا

---

[1]- عبد العزيز سالم، **التاريخ والمؤرخون العرب**، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، (د-ت-ن)، ص83.

[2]- عبد الرحمن خضر، المرجع السابق، ص205.

[3]- ويقصد ابن الأثير المؤرخين الذين سبقوه وكتبوا على المنهج الحولي أمثال الطبري، العبري، وابن القلانسي.

[4]- ابن الأثير، **الكامل**، ج1، ص4.

الترتيب على السنين، وكل الأدلة تشير إلى عدم استعمالهم إياه ...وأن عدم وجود حقبة مستمرة قد يؤدي إلى صعوبة كتابة كتب تاريخية شاملة لفترات طويلة[1].

وممن اتبع هذا المنهج أيضا أبو شامة في كتابه "الروضتين في أخبار الدولتين" فقد رتب الحوادث التي تعرض لها طبقا لتقديره الخاص لأهميتها دون التقيد بالترتيب الذي وردت فيه بالأصل الذي ينقل عنه، فتراه يتبع الحادثة المعينة بتطوراتها المختلفة حتى يقف بها عند سنة جديدة، ثم يعود إلى غيرها ليعالجها بنفس الطريقة وكل ذلك داخل المنهج الحولي العام[2].

[1]- فرانز روزنثال، **علم التاريخ عند المسلمين**، تر: صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، (1403هـ-1983م)، ص106.

[2]- أنور عوده عواد الخالدي، **الكتابة التاريخية في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتورا في التاريخ إشراف د. محمد ضيف الله بطاينة، جامعة اليرموك، (2006م)، ص ص219-220.

المبحث الثاني: التقليد الموضوعي.

المطلب الأول: الاهتمام بالتاريخ العام (ظاهرة الموسوعات).

برزت ظاهرة الموسوعية لدى العلماء المسلمين منتصف القرن الثاني للهجرة فكان الكثير منها لا يقتصر على بحث موضوع واحد، وانما كانت تقوم على جمع علوم وفنون مختلفة في مؤلف ضخم يمكن من خلاله الاطلاع على الشؤون السياسية والاحكام الدينية والأحداث التاريخية وغير ذلك لاحتوائها على كافة صنوف العلم ومقاصده.

- الموسوعات قبل القرن الخامس للهجرة:

شهد القرن الثاني للهجرة ظهور موسوعات تاريخية ضخمة متكاملة، ومن بينها كاتب السيرة النبوية لابن هشام المتوفى(223هـ)، ومثل "أخبار الرسل والملوك" لمؤلفه محمد بن جرير الطبري (ت310هـ)، ألّف موسوعته التاريخية والتي تحتوي على أحد عشر جزءا[1] فقد تناول في كتابه هذا أحداث التاريخ حتى سنة (915م) وقد أجاد كتابة التاريخ كتابة حولية وصار بذلك عمدة المؤرخين في التاريخ السياسي ورواية الأخبار[2]، وتتواصل سلسلة الموسوعات عبر القرون فتظهر موسوعة "العقد الفريد" لأحمد بن عبد ربه المتوفى(328هـ) ومن ثم كتاب "الأغاني" لأبي فرج الأصفهاني (ت356هـ) وتعتبر من أهم الموسوعات العربية المتكاملة، إضافة إلى موسوعة" جامع التواريخ" لابن علي التنوخي(ت337هـ) وقد اعتبرت موسوعته من أرقى الموسوعات العربية أدبا وفكرا وفنا وتاريخا إضافة إلى موسوعة "الامتناع والمؤانسة" لابن حيان.

-الموسوعات التاريخية من القرن الخامس الهجري الى القرن التاسع الهجري:

وإذا كانت هذه الموسوعات والتي سعد بها القرن الرابع الهجري، فإن القرن الخامس الهجري بدوره قد حظي بإسهام كبير من طرف المؤرخين الذين اتسمت كتبهم بالموسوعية التكاملية الشاملة ولعل ذلك يرجع إلى مجموعة من الأسباب ساعدت في وجود هذه الظاهرة من بينها النكبات والدمار

---

[1]- مصطفى الشكعة، **مناهج التأليف عند العلماء العرب**، دار العلم للملايين، بيروت، ط6، (1991م)، ص758.

- هاري إلمربارنز، **تاريخ الكتابة التاريخية**، تر: محمد عبد الرحمن، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط01، (1925م)، ج1، ص[2]138

الذي أصيبت به الحضارة الإسلامية على أيدي التتار، حيث أتلفت العديد من الكتب والمؤلفات وهذا ما ولّد في نفوس العلماء من غيرة دينية وقومية على التراث العربي الإسلامي فبذلوا قصارى جهدهم للمحافظة على ما تبقى منه ولمّ شتاته في مصنّفات جامعة شاملة، فقد توافرت للعلماء فرصة الإلمام والجمع بين العلوم المختلفة.

وكما سبق القول على القرن الخامس للهجرة عصر الموسوعات التاريخية فقد ظهر كبار المؤرخين الذين صنّفوا مؤلفاتهم على طريقة التجميع ومن ذلك نجد المؤرخ الكبير أحمد بن علي بن ثابت المشهور بالبغدادي(392هـ-463هـ) صاحب "تاريخ بغداد" وغيره من المصنّفات كان فقيها فغلب عليه الحديث والتاريخ[1]، ويعد كتابه تاريخ بغداد من أضخم المؤلفات فهو يتكون من أربعة عشر مجلدا[2]، ابتدأ البغدادي كتابه بمقدمة احتوت على خمسة أجزاء من بين المئة والستة أجزاء، ذكر فيها خطط بغداد القصور والعمائر العظيمة في دار الخلافة وتعتبر هذه المقدمة أهم ما كُتب في موضوع خطط بغداد أما بقية الكتاب فكله تراجم لأهل بغداد ووارديها فالتراجم هي أسس الكتاب[3] ويذكر البغدادي في المقدمة القسم الخاص بالتراجم ان تاريخه هذا "يشمل الخلفاء، والأشراف، الكبراء والمتأدبين والشعراء ومن أهل مدينة السلام الذين ولدوا بها وبسواها من البلدان ونزلوها، وذكر من انتقل منهم عنها ومات ببلد غيرها، ومن كان بالنواحي الأخرى القريبة ومن قدمها من غير أهلها[4].

ومن خلال مقدمة البغدادي فإنه جمع في ترجمته من سائر الطبقات بين محدثين وحملة العلم والاخباريين والنسابين، وهذا يدل سعة اطلاعه وسماعه من قبل الشيوخ محدثين كما انه نقل إلى كتابه كل ما يستجد له حول أخبار المترجمين ووفياتهم أو يضيف تراجم جديدة التي أخذها عن شيوخه وإن كان قد سبقه العديد من المؤرخين أمثال الطبري وتفسيره، والأصفهاني وكتابه الأغاني، والذي كانت مؤلفاتهم شاملة وضخمة لكن عددها كان قليلا فظل تاريخ البغدادي من أضخم ما أُلّف إلى زمانه ولاريب في أن ضخامة حجم الكتاب كانت من أسباب شهرته فقد حظي بدراسة من طرف العديد

[1]- ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج1، ص27.

[2]- حاجي خليفة، **كشف الظنون**، ج1، ص288.

[3]- البغدادي، **تاريخ بغداد**، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (1422هـ-2001م)، ج1، ص76.

[4]- نفسه، ج2، ص1.

من الباحثين ومن بينهم الدكتور بشار عواد الذي تصدى لمعالجة العديد من الكتب الضخمة ومن بينها كتاب تاريخ بغداد.

ولم ينفرد البغدادي وحده بموسوعيته، بل ظهر أيضا ثلة من العلماء المسلمين اتصفت مؤلفاتهم بالسمة الموسوعية، والتي تتميز بالشمولية التداخلية، وصبغة احتوائية تناسقية، فقد ألّف علي بن الحسن الدمشقي المعروف بابن عساكر، الذي عاش بين عامي (499هـ-و571م)[1]، موسوعته الضخمة "تاريخ دمشق الكبير"[2]، ويذكر الذهبي في ترجمته لابن عساكر ومصنفه "تاريخ دمشق"؛ "أنه صنّف وجمع فأحسن، ومن ذلك تاريخه في ثمان مئة جزء قلت: الجزء عشرون ورقة فيكون ستة عشر ألف ورقة[3]، كما ترجم له أيضا ياقوت الحموي فيقول عنه (وجمع وصنف فمن ذلك كتاب تاريخ مدينة دمشق وأخبارها وأخبار من حلها)، أوردها في خمسمئة وسبعين جزء من تجزئة الأصل، والنسخة الجديدة ثمان مئة جزء)[4].

وفضلا عن ذلك فإن ابن عساكر قد أورد في كتابه التاريخ الحضاري لمدينة دمشق إلا أنه لم يقتصر على تاريخ دمشق فقط، بل إننا حين نقرأ موسوعته نجد بين دفاتها ذكر لتاريخ بلاد الشام وما زاد كتاب ابن عساكر حلّة وبهاء هو أنه ترجم لرجال عصره ومن سبقه حيث ترجم لشيوخه الذين سمع عنهم، كما وقد وجد لهذا الكتاب الكبير، ذيول ومختصرات[5] فقد عكف على تاريخ ابن عساكر عدد كبير من العلماء يقتبسونه ويختصرونه ويذيّلون عليه، وممن اختصره الإمام الحافظ الذهبي في عشر مجلدات، واختصره الشيخ عبد القادر بدران، وطبع من مختصره سبعة أجزاء تنتهي بترجمة عبد الله بن سيار، واختصره العلامة ابن منظور صاحب " لسان العرب"[6]، وذيّل عليه ولد المصنف القاسم ولم

[1] - الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تح: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، (1402هـ-1882م)، ج20، 554.

[2]- واسمه (تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأوائل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها) ألفه ابن عساكر على نسق" تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي، لكنه أعظم منه حجم. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج20، ص558.

[3] - المصدر نفسه، ج20، ص558.

[4]- ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج13، ص76.

[5]- حاجي خليفة، **كشف الظنون**، ج1، ص48.

[6]- الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج20، ص559.

يكمله، ذيل صدر الدين البكري، ذيل عمر بن الحاجب، ذيل أبو يعلي بن القلانسي وذيل علم الدين البرزالي[1].

وليس ببعيد عن هذا المؤرخ الفذ حتى ظهر واحد من أساطين المؤرخين الذين برعوا في هذا المجال وغيره من فروع العلم، ألا وهو مؤرخ القرن السادس الهجري الإمام عبد الرحمن بن علي القرشي البغدادي المعروف بابن الجوزي رحمه الله ولد سنة (511هـ)، وقد عاش ابن الجوزي في فترة تميزت بتغيرات سياسية واجتماعية واسعة النطاق تخللتها أيضا تيارات فكرية مختلفة أي زمن الخلافة العباسية ببغداد، فقد عايش ابن الجوزي ستة من الخلفاء العباسيين بدءا من الخليفة المسترشد بالله والذي تولى الخلافة من (512هـ وحتى 429هـ)، ومن ثم إلى غاية حكم الخليفة الناصر لدين الله الذي تولى الخلافة عام (575هـ الى غاية 622هـ)، وقد توفي ابن الجوزي أثناء خلافته في عام(597هـ)[2].

إن عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي والفكري جعل المادة خصبة للتأريخ وبذلك فقد بذل ابن الجوزي جهدا كبيرا فقدم لنا الموسوعة التاريخية الهائلة والضخمة" المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" فلم تظفر به بقية مصنفاته إلى حد جعله يقوم باختصاره في كتاب آخر سماه" شذور العقود"[3]، ويذكر ابن الجوزي أن مصنفاته بلغت ثلاثمائة مصنف ومن بينها نذكر المغني في التفسير وتذكرة الأريب في تفسير الغريب وكاتب دفع الشبهة والتشبيه ومناقب بغداد وكتاب تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التواريخ والسير[4] وغيرها من المؤلفات التي كتبت في فن قائم بذاته.

كل ذلك فإن كتابه "المنتظم" وحده يعد موسوعة فهو يتكون من ثمانية عشر جزءا بدأ ابن الجوزي كتابه بمقدمة أوضح فيها أهمية التاريخ ومناهج المؤرخين الذين سبقوه وتنوع مذاهبهم وقد أراد ابن الجوزي أن يكون التاريخ عبرة وعظة لرجال الحكم والسياسة بقوله "إن الشرع هو السياسة لا

---

[1]- أبي القاسم بن عبد الله الشافعي ابن عساكر(ت571هـ)، **تاريخ دمشق**، تح: محي الدين أبو السعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ط1، (1415هـ-1995م)، ص34.

[2]- جمال الدين أبو الفرج محمد ابن الجوزي(ت597هـ)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تح: محمد عبد القادر عطا-مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1412هـ-1992م)، ج1، ص-ص 5-6.

[3]- نفسه، ص6.

[4]- عبد الحميد العلوجي، **مؤلفات ابن الجوزي**، شركة دار الجمهورية لنشر والتوزيع، بغداد، ط1، (1385هـ-1965م)، ص14 فما بعد.

عمل السلطان برأيه وهواه"[1]، وقد اتبع ابن الجوزي في كتابه هذا منهج الناقل الناقد والمحلل تتبع من خلاله قصة الخليقة، وأورد تاريخ لملوك سواء ملوك العرب أم الفرس وغيرهم وأفرد جزءا خاصا لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد ذلك تناول الحوادث السياسية والعسكرية خلال العصر الراشدي كما وقد تمثلت مصادره في أنه قد استفاد من ابن إسحاق في السيرة النبوية ومن ابن سعد في الطبقات ومن الطبري في تاريخه ومن الخطيب في تاريخ بغداد وغيرها من المصادر التي اعتمد عليها[2].

وأثناء تتبعنا التاريخي لسلسلة الموسوعات التاريخية، فإننا نقف عند واحدة من أهم الموسوعات التاريخية منهجا وموضوعا لصاحبها المؤرخ الكبير "ابن الأثير" مؤرخ الحروب الصليبية والذي عايش فترة الدمار والانهيار للعام الإسلامي الذي تسبب فيه المغول، والهجمات الصليبية التي قادها الفرنج ضد المسلمين سنة(490هـ[3]، ابن الأثير: هو أبو الحسن، علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ولد سنة (555هـ-630هـ)[4] سكن الموصل ودرس فيها وتقدم بالنسب والتاريخ والأدب وهو ثالث إخوة ثلاثة عرفوا جميعا بابن الأثير كان محبا لدراسة الحديث، ويهتم بالتاريخ له مصنفات عديدة بعد التاريخ منها أسد الغابة في معرفة الصحابة وهو أوسع كتاب في التراجم وكتاب لباب الأنساب، وكتاب التاريخ الباهر وهو تاريخ الدولة الأتابكية وكتاب الجامع الكبير وكتاب تاريخ الموصل لكنه لم يكمله[5].

أما كتابه الكبير في التاريخ فهو "الكامل في التاريخ" ابتدأه من أول الزمان إلى آخر سنة ثمان وعشرين وستمئة، وصفه ابن خلكان بأنه من خيار التواريخ وقال ابن كثير: هو من أحسنها حوادث[6]، وهو يعد من الموسوعات التاريخية حيث استسقى مادته من المؤلف الكبير لابن جرير

---

[1]- ابن الجوزي، **المنتظم**، ج1، ص38.

[2]- نفسه، ج1، ص40.

[3]- ابن الأثير، **الكامل**، ج1، ص ص9-10.

[4]- تاج الدين السبكي(727هـ)، **طبقات الشافعية الكبرى**، تح: عبد الفتاح محمود الحلو ومحمود محمد الطناحي، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، (1236هـ-1918)، ج8، ص299. وله ترجمة في: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج22، ص136. الذهبي، **سير اعلام النبلاء**، ج22، ص ص353-356.

[5]- ابن الأثير، **الكامل**، ج1، ص ص9-10.

[6]- نفسه، ص9.

الطبري كتابه" تاريخ الأمم والملوك"[1] بدرجة أولى حيث يقول" وإنما اعتمدت عليه من بين المؤرخين إذ هو الإمام المتقن حقا، الجامع علما وصحة اعتقاد وصدقا"[2]، كما أولى الوحدة الموضوعية عنايته، وهذا تطلب منه تقديم عرض متسم بالترابط بين موضوعات كتابه[3] كما تميز كتابه بالتركيز لذا نزع إلى الاختصار "وعدم التكرار" في عرض المعلومات فحذف الروايات المتكررة.

اعتمد ابن الأثير المنهج الحولي، بشكل عام في كتابه تاريخ الإسلام، ورتّب كتابه حسب السنين، كما أنه يصرح أحيانا في بداية الموضوع حول ترتيب أو دمج أو جمع حوادث معينة في سياق واحد، فحاول جمع ما يتصل بالحادثة الواحدة في موضع واحد محاولا الابتعاد عن ما أخطأ فيه المؤرخون الذين سبقوه ويشير إلى ذلك بقوله: "ورأيتهم-المؤرخين-يذكرون الحادثة الواحدة في سنين ويذكرون منها في كل شهر أشياء فتأتي الحادثة مقطعة لا يحصل منها على غرض ولا تفهم إلا بعد إمعان النظر، فجمعت أنا الحادثة في موضع واحد وذكرت كل شيء منها في أي شهر أو سنة كانت فأتت متناسقة متتابعة وقد أخذ بعضها برقاب بعض"[4] ومن منهجه المتبع إسقاط الأسانيد والتي اعتمد عليها بكثرة، لكنه أهمل ذكر المصادر إلا نادرا لكنه وقد ادعى ابن الأثير في مقدمة كتابه أنه لم ينقل إلا من التواريخ المذكورة والكتب المشهورة ممن يعلم بصدقهم فيما نقلوه وصحة ما دونوه "ولم أكن كالخابط في ظلماء الليالي ولا كمن يجمع الحصباء واللآلي...."[5].

وأثناء قراءتنا لمؤلفات ابن الأثير فإننا نلتمس عنده الحس النقدي التحليلي فقد ارتكز النقد التاريخي لديه على أن التاريخ ليس مجرد قصص وأخبار وأحاديث وأسمار وإنما هو ضرورة حضارية

---

[1]- يعد من أوثق ما كتب في التاريخ بهذا الشمول، لأنه أتى بكل شيء من مصادره الأصلية رواية ونقل من موارد مختلفة، وعزا كل مقولة لصاحبها لذا امتاز بدقة، مع ما في الروايات المنقولة أحيانا من التناقضات والاستحالة، لأنه يلزم ان يذكر ما صح فحسب، بل المؤرخ يلزمه أن ينقل أكثر الذي حوله من حقائق وأغاليط، لأن أسانيد المؤرخين قد لا تسعف أحيانا في النقل الصحيح، وهذا ما جعل الطبري ينبه في مقدمته بقوله(وما أبو جعفر الطبري إلا ناقل عنهم ومرتب وجامع، وقد يكون له اجتهاد في أحايين أو انكار أو قبول" ينظر: ابن الأثير، **الكامل**، ج1، ص5.

[2]- ابن الأثير، **الكامل**، ج1، ص10.

[3]- طارق محمود أبو هدهود، **ابن الأثير ودوره في الكتابة التاريخية**، رسالة مقدمة لنيل شهادة درجة الدكتوراه في التاريخ، إشراف أ-د عبد العزيز الدوري، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، (2009م)، ص164.

[4]- ابن الأثير، **الكامل**، ج1، ص4.

[5]- نفسه، ص6.

لفهم الإنسان من خلال دراسة مختلف أوجه نشاطه في الماضي وهو أداة للكشف عن القواعد التي تنتظم فيها حوادث التاريخ من خلال رصد العلاقات السببية التي تنطوي عليها الظواهر التاريخية والحوادث ولعل هذه النظرة لا تختلف كثيرا عن نظرة ابن خلدون للتاريخ[1].

تميزت هذه الفترة الزمنية بسخاء عقلي وفيض علمي وخلال هذا الموكب الحضاري المستمر يظهر مؤرخ من فطاحلة القرن الخامس وهو" ياقوت الحموي الرومي" ولد سنة(569هـ-626هـ)[2] حيث ألف مصنفات في التاريخ والأدب "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب" وكتابه " معجم البلدان" من أرقى الكتب الجغرافية وأعلاها قيمة وليأتي تعريف لهذا الكتاب من قبل مؤلفه حيث يقول: " فهذا الكتاب في أسماء البلدان والجبال والأودية والقيعان والقرى والمحال والأوطان والبحار والأنهار والغدران والأصنام والأبداد والأوثان[3]، وقد قسّمه إلى خمسة أبواب أتم فيها فضله وعزّز وبله وقد رتّبه ترتيبا معجميا لغرض تسهيل طريق الفائدة من غير مشقة.

أما عن معجمه الثاني فقد أشار مؤرخنا في مقدمته إلى محتوى ومنهج كتابه معجم الأدباء قائلا: ".... وجمعت في هذا الكتاب ما وقع إلي من أخبار النحويين واللغويين والنسابين والقُرّاء المشهورين والإخباريين والمؤرخين والورّاقين المعروفين والكتّاب المشهورين وأصحاب الرسائل المدونة، وأرباب الخطوط المنسوبة والمعينة، وكل من صنّف في الأدب تصنيفا أو جمع في فنّه تأليفا مع إيثار الاختصار والإعجاز في نهاية الإيجاز ولم آل جهدا في إثبات الوفيات وتبيين المواليد والأوقات وذكر تصانيفهم ومستحسن أخبارهم، والإخبار بشأنهم وشيء من أشعارهم فأما من لقيته أو لقيت من لقيه، فأورد ذلك من أخباره وحقائق أموره مالا أترك لك بعده تشوفا إلى شيء من خبره، وأما من تقدّم زمانه وبعد أوانه فأورد من خبره ما أدت الاستطاعة إليه..."[4].

التزم ياقوت الحموي في ترتيب الأعيان والأدباء الذين ترجم لهم حروف المعجم التزاما دقيقا في الاسم ثم في اسم الأب ثم اسم الجد، فإن تطابقت الأسماء جعل المتقدم في الذكر لمن تقدمت وفاته

---

[1]- طارق محمود، المرجع السابق، ص177.

[2]- هو" شهاب الدين، أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله الرومي، الحموي" عن ترجمته ينظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج6، ص127. ابن تغري البردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، ص187. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج22، ص312.

[3]- ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، د-ت-ن، ج1، ص7.

[4]- ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ص7.

وأما عن الأقطار والأمصار فلم يميز بين بلد وبلد ولا مصر ومصر أو صقع وصقع وإنما ذكر أعيان الأدباء على امتداد رقعة العالم الإسلامي[1]، وقد استمد الحموي مادته نقلا من مؤلفات المؤرخين السابقين له، الذين صح النقل عنهم حيث يثبت نقله عند كل رواية وقد أثبت ذلك في قوله "ووقفني النقل عنه في ترددي إلى البلاد ومخالطتي للعباد وحذفت الأسانيد إلا ما قل رجاله وقرب مناله مع الاستطاعة لإثباتها سماعا أو إجازة إلا أنني قصدت صغر الحجم وكبر النفع وأثبت مواضيع نقلي ومواطن أخذي من كتب العلماء المعول في هذا الشأن عليهم والمرجوع في صحة النقل إليهم"[2].

وما يجب أن ننوه إليه وهو الحق، أن ترتيب التراجم في معجم الأدباء بلغ من الدقة فقد جنّب القارئ بدقته الكثير من المتاعب التي يتعرض لها حين يحاول الاستعانة بكتب التراجم، كانت هذه نبذة مختصرة عن المؤرخ الكبير ياقوت الحموي ومؤلفاته.

وفي الفترة الزمنية نفسها تظهر موسوعة أخرى فريدة من نوعها موضوعها تاريخي وإن اقتصر على بلدة واحدة، إنها موسوعة "بغية الطلب في تاريخ حلب"، لمؤلفها أحمد بن أبي جرادة المشهور "بابن العديم"، ولد سنة(588هـ). بالإضافة إلى ابن كثير الذي اختلف في سنة ولادته، بحيث ترجم له ولم يجزم في تحديد سنة ولادته، فنجد الإمام الذهبي يقول في تذكرة الحفاظ: ولد بعد السبعمائة أو فيها[3]، ولكن المؤكد فهو سنة(701هـ)، لأنها من تحديد المؤلف، بحيث يقول في أواخر سنة إحدى وسبعمائة: وفيها ولد كاتبه إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي[4].

ترك ابن كثير مؤلفات عديدة في علوم متنوعة :كالتفسير والفقه، والحديث، والأصول لكن ما كتبه في التاريخ أكثر مما كتبه في أي علم آخر، وأوسع كتبه في التاريخ هو كتابه الشهير" البداية والنهاية" ويقع في أربعة عشر جزءا استسقى مادته من كتب التاريخ المعروفة ففي القسم الأول من تاريخه" المبدأ وتاريخ الأنبياء والأمم السالفة كان جل اعتماده على الطبري وابن إسحاق، ويرتكز اعتماده على ابن إسحاق في كتابته لسيرة النبوية، كما يعتمد إلى جانبه المؤرخين الكبار: كالواقدي وابن سعد والمدائني، كما أنها كانت هذه المصادر الثلاثة مع الطبري، من مصادره في أخبار الخلفاء

[1]- مصطفى الشكعة، المرجع السابق، ص569 فما بعد.

[2]- ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج1، ص12.

[3]- الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج4، ص1508.

[4]- ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، أحداث سنة احدى وسبعمائة.

يضاف إليها البلاذري، كما أنه اعتمد على ابن الأثير وأبي شامة المقدسي والبرزالي وغيرهم حتى في أحداث عصره هو[1].

وإذا يعتبر ابن الأثير مؤرخ الحروب الصليبية فإن ابن كثير تعد مؤلفاته من أهم مصادر التأريخ للعصر المملوكي فقد عاصرهم فدون أخبارهم بشكل مكثف أشبه باليوميات ولأنه كان محبا للحديث ومشتغلا بالتفسير، فقد انعكست اهتماماته على منهجه في التاريخ فجمع من مصادر الحديث المشهورة: كالصحيحين البخاري ومسلم، وغيرهما، وفي التفسير اعتمد على تفسير الطبري والقرطبي وغيرهما أيضا، ويشير الدكتور صائب عبد الحميد إلى الطريقة التي نقل بها ابن كثير من المصادر فيقول: هناك ظاهرة غريبة في نقول ابن كثير إذ لا يكاد ينقل نصا بلفظه رغم ذكره للمصادر أو الإسناد كاملا، سواء كانت نقوله من كتب التاريخ أو كتب الحديث، مؤكدا ذلك بقول مصطفى عبد الواحد الذي عني باقتطاع السيرة النبوية من "البداية والنهاية" وتحقيقها: إنه يكاد لا يلتزم نص أي شيء ينقله فنقوله عن ابن إسحاق اغلبها بالمعنى، وقد تتبعت ذلك في بعض الصفحات ورأيت أن إثبات الفروق شيء يطول مداه فابن الكثير يقدم ويؤخر ويزيد وينقص ويغير ويبدل ويفوت بهذا التغيير والتبديل كثيرا من جمال عبارة ابن إسحاق وتناسقها، كذلك نجد روايات ابن كثير للأحاديث التي نقلها عن البخاري لا تنطبق حرفيا مع صحيح البخاري وغيرها في روايات أخرى وبذلك لا تكاد تجد أي خبر مطابق لما في الكتب المتداولة فلا يخلو الأمر من تغيير أو نقص أو اختصار[2].

أما عن منهج ابن كثير في كتابه "البداية والنهاية" الذي يعد من أوسع المصادر في تاريخ الإسلام وهو من صنف التواريخ العالمية، احتوى تاريخ المبدأ وتاريخ الأنبياء وتاريخ الأمم السالفة قبيل الإسلام ثم السيرة النبوية بتفصيل واسع ثم تاريخ دول الإسلام حتى نهاية سنة (767هـ) من العهد المماليكي وقد اعتمد في ذلك على المنهج الحولي، إضافة إلى الإسناد كما أنه أخذ عن الإسرائيليات وموقفه منها هو موقف بقية المحدثين عامة فهو يقبل بعضها ويرد بعضها الآخر.

كانت هذه لمحة حول الموسوعات التاريخية التي ظهرت من القرن الخامس الهجري فما بعده خاصة وأن أصحابها من مؤرخي المدرسة التاريخية ببغداد والذين وضعوا قواعدها وأسسوا مناهجها

[1]- صائب عبد الحميد، المرجع السابق، ص226 فما بعد.

[2]- نفسه، ص229.

ولأن المجال لا يسعنا الحديث عن كل ذلك الإنتاج العلمي الضخم، فإنه تطلب لنا ذكر لأسماء أصحابها وعلى سبيل المثال نذكر الجاحظ وكتابه " الحيوان"، وابن قتيبة وكتابه "المعارف" والفرابي[1] وغيرهم من المؤرخين الموسوعيين.

وتتواصل سلسلة الموسوعات، مع مشارف القرن الثامن الهجري برزت في هذه الفترة كذلك ظاهرة تراكم المعرفة في المجالات المتنوعة والتي كانت على شكل موسوعات، أطلق عليها "عصر الموسوعات العلمية" بينما كان البعض يتهمون العصر المملوكي بتخلف علمي، وتأخر أدبي، واخترعوا لذلك أسبابا، ولم ينظروا إلى ما أنتجه مؤرخو المدرسة التاريخية المصرية، بحيث ساهم رجالها في تطوير المنهج والأسلوب والطريقة في التدوين التاريخي كان نتاج ذلك موسوعات في شتى العلوم والفنون ومن أصحاب الموسوعات المصرية خلال العصر المملوكي:

- النويري (677هـ-733هـ) "نهاية الأرب في فنون الأدب":

المؤرخ شهاب الدين أحمد النويري والمؤسس لهذا النوع من الكتابة لقد عاش النويري بين سنتي(677هـ-733هـ)[2] وهو من علماء القاهرة، تعلم في الجامع الأزهر وظهر في الحياة العامة في عصر الملك الناصر بن قلاوون، وتدرّج في بعض المناصب الإدارية خلال السلطنة الثانية لابن قلاوون اشتغل النويري بالكتابة في ديوان الناصر محمد بن قلاوون ثم تقلد وظائف أخرى في الدولة ولعل هذه الوظائف وأشرفها هي قيادة جيوش المسلمين التي تمركزت في أنحاء الإقليم الشمالي من المملكة المصرية لكن اهتمامه في الكتابة كان غالبا عليه فألف موسوعته الشهيرة" نهاية الأرب في فنون الأدب" وهي في الأدب والتاريخ، يشتمل على ثلاثين مجلدا[3] وقد قسم النويري موسوعته إلى خمسة أقسام رئيسية، ونختص بالذكر القسم الخاص بالتاريخ وفيه تظهر ملكة النويري المؤرخ وحسه التاريخي ويعد الجزء الذي خصصه للتاريخ أهم ما في موسوعته بل هو العمود الفقري لها وقد تأثر النويري في منهجه وكثرة استطراده وطريقة عرض الشواهد، كل التأثر بمنهج الجاحظ في كتابه" الحيوان" وابن قتيبة في :"عيون

---

[1]- غادة بنت عبد الله بن عبد الرحمن القبلان، **موسوعية العلماء المسلمين (ابن سمح الغرناطي نموذج)**، مجلة الطويلة لدراسات الأثرية والتاريخية، المجلد 8، العدد 23، 2021م، السعودية، ص20.

[2]- خير الدين الزركلي(ت1396هـ)، **الأعلام**، درا العلم للملايين، (د-م-ن)، ط15، (2002م)، ج1، ص 165.

[3]- الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن الحبيب(ت779هـ)، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، تح: محمد أمين ـ سعيد عبد الفتاح عاشور، مركز تحقيق التراث، القاهرة، (1982م)، ج2، ص246.

الأخبار" وقد أوضح ذلك في مقدمة كتابه بقوله: "وما أوردت فيه إلا ما غلب علي ظني أن النفوس تميل اليه وأن الخواطر تشتمل عليه ولقد تتبعت فيه آثار الفضلاء قبلي وسلكت منهجهم ووصلت بحبالهم حبلي"[1].

وإن المتتبع للنويري في "نهاية الأرب"، يحس بروعة هذا العمل الذي قام به هذا العالم الجليل وذلك يدل على سعة اطلاعه لما حوى كتابه من موضوعات، وموسوعة النويري شأن كل موسوعة فقد ضمت أوانا من المعرفة والفنون وأشتاتا من الأخبار وموضوعات من الأدب وقضايا من التاريخ.

- ابن فضل الله العمري(700هـ-749هـ/1301م-1349م) "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"

ونأتي للحديث عن ثاني الموسوعات المملوكية من حيث التاريخ، وأشهرها وهي موسوعة "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" للعلامة الجغرافي والسياسي شهاب الدين بن يحيى بن فضل الله القرشي العمري الذي عاش بين سنتي(700هـ-749هـ)[2]، وقد اشتغل في وظيفة رئيس ديوان الإنشاء، وأما عن المنهج الذي اتبعه العمري في كتابه "المسالك والممالك"، فقد شرح المؤلف منهجه في مقدمته، رابطا بين المنهج والعنوان حين يقول إنه قسمان" أولهما في الأرض، وثانيهما في سكان الأرض، والقسم الأول منهما- أي الأرض- على نوعين: أولها المسالك، وثانيهما الممالك وبذلك قدم العالم الجليل موسوعته بتفصيل منطقي وتقسيم منهجي، يشهد له[3] بالإضافة إلى موسوعته الكبيرة مسالك الأبصار في "ممالك الأمصار" وهو سبعة وعشرون مجلد، بحث فيه كل العلوم من جغرافية وأقاليم الأرض وممالك الإسلام [4] فقد خلّف العمري عددا كبيرا من المؤلفات نذكر منها: تذكرة الخاطر، ذهبية العصر (في ترجمة مشاهير أهل المئة الثامنة)، وكتاب الدرر الفوائد (في تراجم الملوك والوزراء والقضاة والعلماء والأدباء وشعراء المغرب)، وصبابة المشتاق ويعد من كتبه المطولة وكتابه "عباد

[1]- شهاب الدين النويري(ت733هـ)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تح: مفيد قميحة، (د-م)، ط1، (د-ت)، ج1، ص17.

[2]- الزركلي، **الأعلام**، ج1، ص268.

[3]- مصطفى الشكعة، المرجع السابق، ص744.

[4]- محمد فقي رسول، **أعجوبة الدهر الشيخ ابن الفضل الله العمري الدمشقي(700هـ-749هـ/1301م-1349م)**، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، العدد 25، (2011م)، ص266.

الصليب"، ومجموعة رسائله التي أسماها "الثنويات"[1]، وغيرها من المؤلفات في مختلف العلوم والفنون غير أن كتابه "مسالك الأبصار" وحده موسوعة طابعها العام التخصص غير المقيد بحدود.

-أبو العباس القلقشندي(756-821هـ/1355-1418م) وموسوعته "صبح الأعشى في كتابة الإنشاء":

وهو القاضي شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي، ولد سنة(756هـ)[2] بقلقشندة، درس بالقاهرة والإسكندرية على يد كبار شيوخ العصر تخصص في الأدب والفقه الشافعي، وبرع بالأخص في علوم اللغة والبلاغة والإنشاء التحق بخدمة الديوان في عهد السلطان الظاهر برقوق، وقد كانت لديوان الإنشاء في هذا العصر أهمية خاصة، لبث القلقشندي أعواما يعمل في ديوان الإنشاء، ولعله استمر فيه حتى آخر عهد الظاهر برقوق سنة (801هـ)، وفي تلك الفترة خطرت له فكرة وضع مؤلفه الكبير "صبح الأعشى"، جمع مادة غزيرة واسترشد بما كتبه العمري من قبل في "المصطلح الشريف"، واستخرج الوثائق والكتب والمراسلات الخلافية والسلطانية وبذلك صارت لديه مادة غزيرة لم يسبق أن اجتمعت من قبل لكاتب في موضوعه والتي مثلت مصادر كتابه وقد رتب مؤلفه على مقدمة وعشر مقالات وهي بذلك تملأ أربعة عشر مجلدا ضخما[3].

ولم يكن "صبح الأعشى" على شموله وضخامته هو المؤلف الوحيد لصاحبه، وإنما ترك القلقشندي مجموعة من الكتب، وإن جهد القلقشندي في كتابه "صبح الأعشى" تكون الموسوعات ذات طابع الاشتمال على كل شيء قد بدأت مناهجها تتحدد، وخطوط الاستطراد الطويلة فيها تقصر وتعدد الموضوعات وفروع المعرفة التي تحتويها تتقلص، ليس على حساب العلم وإنما على حساب التخصص، ذلك أن أول موسوعة تظهر حسب الترتيب التاريخي بعد موسوعة القلقشندي كانت موسوعة المقريزي "المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار"، وكتابه قائم على التخصص موضوع بذاته[4]، تناول القلقشندي في كتابه مقدمة وعشر مقالات وخاتمة، أما المقدمة والتي يجب

[1]- محمد فقي رسول، المرجع السابق، ص265؛

[2]- الزركلي، **الأعلام**، ج1، ص53.

[3]- محمد عبد الله عنان، **مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري**، مكتبة الأسرة، مصر، ط1، (1999هـ)، ص ص77-78.

[4]- مصطفى الشكعة، المرجع السابق، ص745.

تقديمها قبل الخوض في كتابه الإنشاء وفيها خمسة أبواب، ثم يناقش بعد ذلك في مقالاته المتخصصة أحوال المسالك والممالك والخلافة ونظم الإدارة في مصر والبلاد الإسلامية والرسائل الواردة وما يهمنا هو في مؤلفاته التاريخية التي شملت التاريخ الإداري لمصر حيث بين في كتابه صبح الأعشى الأصول التي سارت عليها نظم الدواوين كما وضع لنا أسس العلاقات بين حكام المسلمين وجيرانهم من ملوك وأمراء وأباطرة العالم آنذاك وبذلك يكون القلقشندي قد قعد للكتابة الديوانية بعد دراسة تاريخية زمنية لنشأتها وتطورها ثم حدد أصوله وقوانينها، ثم قدم بعد ذلك دراسة فريدة متميزة شملت التاريخ العام والتاريخ المحلي والنظم الإدارية والعلاقات الدولية الإسلامية، والسياسة الخارجية لمصر باعتبار وظيفته الهامة في ديوان الإنشاء[1].

- تقي الدين المقريزي(766-845هـ/1364-1442م) المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار:

هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المعروف بابن المقريزي، ولد سنة (766هـ/1364م) في القاهرة[2]، تولى المقريزي في ديوان الإنشاء والقضاء والحسبة والخطابة في دمشق وصحب عددا من أمراء المماليك، وعين ناظرا للأوقاف في دمشق ثم ترك ذلك وأقام ببلده عاكفا على الاشتغال بالتاريخ، حتى اشتهر به ذكره، وذاع صيته[3]، وصنف فيه جملة من التصانيف، وزادت تصانيفه على مئتي مجلد، أهلته ليكون فريدا بين أبناء عصره من المؤرخين، وانقسمت مؤلفاته إلى كتب كبيرة اتصفت بالموسوعية، ونذكر منها: كتاب السلوك في معرفة دول الملوك"، وكتاب "اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء" وإمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع، وكتاب درر

[1]- فتيحة عبد الفتاح النبراوي، **علم التاريخ (دراسة في مناهج البحث)**، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط2، (1416هـ-1996م)، ص ص199-200.

[2]- ابن الحجر العسقلاني، **إنباء الغمر بأبناء العمر**، تح: حسن حبشي، القاهرة، ط1، (1419هـ-1998م)، ج4، ص ص187-188.

[3]- نفسه، ص ص187-188.

العقد الفريد في تراجم الأعيان المفيدة، والذي خصصنا له الدراسة مؤلفه التاريخي " المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار" أو كما يسمى الخطط المقريزية، وغيره من المؤلفات[1].

ولاريب أن كتاب "الخطط" من أشهر آثار المقريزي، وذلك أنه طريف في موضوعه غزير في مادته التي استقاها واعتمد عليها في كتابه الخطط وقد أشار إلى هذه المصادر في مقدمته حيث يقول: (وأما أي أنحاء التعاليم التي قصدت في هذا الكتاب، فإنني سلكت فيه ثلاثة أنحاء: وهي النقل من الكتب المصنفة في العلوم، والرواية عمن أدركت من مشيخة العلم وجلة الناس، والمشاهدة لما عاينته ورأيته، فأما النقل من دواوين العلماء التي صنفوها في أنواع العلوم، فإني أعزو كل نقل إلى الكتاب الذي نقلته منه، لأخلص من عهدته، وأبرأ من جريرته فكثيرا ممن ضمني واياه العصر، واشتمل علينا المصر....)[2]، ويمكن الإشارة إلى أن المقريزي كان يقتبس من مؤلفات أسلافه بطريق الإسناد، وأما عن أجزاء الكتاب فإنها سبعة :

أولها: يشتمل على جمل من أخبار أرض مصر وأحوال نيلها وخراجها وجبالها، وثانيها: يشتمل على كثير من مدنها وأجناس أهلها، وثالثها: كتب في أحوال فسطاط مصر ومن ملكها، ورابعها: يشتمل على أخبار القاهرة وخلائقها، ومن كان لهم من الآثار، وخامسها: يشتمل على ذكر ما أدركت عليه القاهرة وظواهرها من الأحوال، وسادسها: اختص بذكر قلعة الجبل وملوكها، وسابعها: يشتمل على ذكر الأسباب التي نشأ عنها خراب إقليم مصر وقد تضمن كل جزء من هذه الأجزاء السبعة عدة أقسام[3].

والحق أن "الخطط المقريزية" في غاية الأهمية والمنفعة، ذلك أنه ليس بالسهل الإشراف على عمل كهذا في زمن قصير، وأوضاع متدهورة وتغيرات في الأزمنة المتطاولة والأعوام الكثيرة، وبذلك كان المقريزي إمام عصره في التاريخ والرواية.

---

[1]- منى بنت يوسف بن أحمد الحجاجي، **منهج الكتابة التاريخية عند المقريزي(766-845هـ/1364-1442م) "كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك** نموذجا" (دراسة تاريخية)، مركز البحوث التاريخية، السعودية، ص ص220-221.

[2]- تقي الدين المقريزي(ت845هـ)، **المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار**، تح: محمد زينهم-مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، (1998م)، ج1، ص10.

[3]- المقريزي، **الخطط**، ج1، ص10.

- شمس الدين السخاوي(831-902هـ/1428-1497م) "الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع":

وما إن أوشكت المدرسة المصرية على اختتام ذلك العهد الزاخر بالمعارف والعلوم، الزاهر بمؤرخين الأعلام، حتى يظهر شمس الدين السخاوي الشافعي(831-902هـ/1428-1497م)[1]، ولد بالقاهرة وتمذهب على مذاهب الإمام الشافعي، ابتدأ تحصيل العلوم الشرعية في سن مبكر، وكان ابن حجر العسقلاني في مقدمة أساتذته، ارتحل السخاوي إلى عدد كبير من البلدان لتحصيل العلم، فقد زار في مصر دمياط والمنصورة والرشيد...إلخ، ثم رحل إلى مكة والمدينة ودمشق وبيت المقدس، وسمع من شيوخ وعلماء هذه البلدان، حفظ الحديث والمتون عمل على التدريس والإقراء في أعظم المدارس بالقاهرة، وكتب وله مصنفات عديدة في الحديث، كما أنه كان مؤرخا بارعا، جمع بين الحديث والتاريخ، وهذه ميزة التي اختص بها مؤرخو القرون الأول كتاب السيرة من أمثال الطبري والذهبي، من قواعد الاسناد وتمحيص الرواية والجرح والتعديل، وهذا معوان للمؤرخ الناقد على تحري الحقائق[2].

ولنعرض تراث السخاوي بعد أن أتينا على ترجمته، للعلامة الحافظ شمس الدين السخاوي تراث حافل يوحي على غزارة مادته ونشاطه فقد ترك مؤلفات في شتى العلوم والفنون فكتب في الحديث، والأدب والتاريخ، ويعني السخاوي في ترجمة نفسه بتعداد رسائله ومؤلفاته[3]، استهل السخاوي مجهوده التاريخي بوضع كتاب "التبر المسبوك في ذيل السلوك" وقد ذيّل به على كتاب "السلوك لمعرفة دول الملوك" للمقريزي، وقد تناول فيه تاريخ دول المماليك المصرية حتى سنة (844هـ)، وكتابه تاريخ مصر الإسلامية من سنة(845-857هـ) وكتبه نزولا عند رغبة الداوادري يشبك المهدي وزير السلطان الظاهر خشقدم[4] وكتابه "الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ" وأعظم آثار السخاوي بلا ريب هو كتابه الضخم "الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع" و هو موسوعة

---

[1]- الزركلي، **الأعلام**، ج1، ص258؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج3، ص158.

[2]- محمد عنان، المرجع السابق، ص ص131-132.

[3]- شمس الدين السخاوي(ت902)، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار الجيل، بيروت، ط1، (1412هـ-1992م)، ج1، ص3.

[4]- السخاوي، **التبر المسبوك في ذيل السلوك**، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط1، (د-ت)، ج1، ص5.

حافلة تقع في عدة مجلدات و يشير السخاوي إلى موضوع كتابه في ديباجته على النحو التالي: (فهذا الكتاب...جمعت فيه من علمته من هذا القرن الذي أوله سنة إحدى وثمانمائة ختم بالحسنى من سائر العلماء والقضاة والصلحاء والرواة والأدباء والشعراء والخلفاء والملوك والأمراء والمباشرين والوزراء مصريا كان أم شاميا حجازيا أم يمنيا روميا أو هنديا مشرقيا أم مغربيا، بل وذكرت فيه بعض المذكورين بفضل ونحوه من أهل الذمة...)[1].

ترجم السخاوي في معجمه من أواخر القرن التاسع حوالي سنة(890هـ) واستمر في الكتابة فيه حتى سنة (897هـ) يمتاز الضوء اللامع بقوة في التصوير ليس لها نظير في كتب التراجم الإسلامية ذلك أنه قد تخلله الحس النقدي الذي تميز به الحافظ شمس الدين السخاوي حيث طبق عليه قواعد التجريح والهدم بقسوة والانتقاص ظاهرا ولم يترك السخاوي عبقرية من عبقريات عصره إلا هاجمها بشدة والقذف المجرد فهو من أعظم رجال المدرسة التاريخية المصرية في القرن التاسع بل أحد أعلام المؤرخين المسلمين في ذلك العصر فقد عرف بأنه المحدث المدقق والفقيه المحقق والمؤرخ البارع والناقد اللاذع والكاتب الجريء صاحب المنهج الحر والرأي المستقل[2].

وواصل المؤرخون كتاباتهم على النحو الموسوعي فكتب الصفدي كتاب جامع سماه "التذكرة الصفدية" وهو في ثلاثين مجلد، جمع فيه نوادر الأشعار ولطائف الأدبيات نظما ونثرا[3] ولابن أبي حجلة كتاب سماه" حاطب ليل" في مجلدات كثيرة جمع فيه فوائد أدبية كالتذكرة[4].

-المطلب الثاني: ظاهرة الذيول والتكملة.

برزت في هذه الفترة ظاهرة التكملة والذيول للكتب السابقة وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على قلة الإنتاج التاريخي الجديد وربما انعدام بعض أنماطه في هذه الفترة، وإنما أخذ المؤرخون يختصرون

---

[1]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج1، ص5.

[2]- فتيحة النبراوي، المرجع السابق، ص21.

3- حاجي خليفة، **كشف الظنون**، ج1، ص388.

4- ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، ج1، ص108.

الكتب المتميزة القديمة أو يكملونها أو يذيلون عليها وقد يقوم المؤلف نفسه أحيانا بعملية التكملة أو التذييل على كتابه السابق[1].

وقد أحصى بعض المؤرخين والمهتمين بعلم التاريخ عند المسلمين، ويأتي في مقدمتهم الإمام الحافظ السخاوي، في القائمة التي أوردها في كتابه "الإعلان بالتوبيخ" إلى عدد من كتب التكملة والتذييل، ولا يسعنا في هذا المجال إلا أن نشير إلى جملة أمثلة ونماذج منها:

- بعض كتب التكملة واستكمال التكملة:

- المنذري(656هـ)، التكملة لوفيات النقلة.

- ابن الصابوني(680هـ)، تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب.

- الكتبي(764هـ)، فوات الوفيات والذيل عليها، وهو تكملة لوفيات الأعيان لابن خلكان، وقد اختص الدراسة خلال هذا الفصل.

- الصفدي(764هـ)، الوافي بالوفيات كتاب "التكملة على وفيات الأعيان لابن خلكان".

- ابن كثير(774هـ)، التكميل في معرف رجال الحديث.

- علاء الدين مغلطاي(762هـ)، إكمال تهذيب الكمال للمزي.

- العلاء بن الخطيب الناصرية، كمل كتاب ابن العديم "زبدة الحلب في تاريخ حلب" في كتاب سماه (الدرر المنتخب في تكملة تاريخ حلب).

- ابن تغري البردي(874هـ)، أكمل كتاب الوافي بالوفيات للصفدي، كما أكمل كتاب "السلوك" للمقريزي.

وبعد أن قدمنا هذه النماذج حول مؤلفات مكملة لكتب سبقتها، سواء كان من أجل اختصارها أو الإضافة فيها، كل ذلك سنجيب عليه من خلال انتقاءنا لبعض الأمثلة عن كتب

[1]- فاروق فوزي، المرجع السابق، ص271.

التكملة والتذييل وسنترك المجال لمؤلفيها من أجل توضيح أسباب توجههم إلى التأليف في مثل هذا النوع من الكتابة وعن المناهج التي سلكوها في كتبهم وهي كالتالي:

- بعض كتب التكملة وصلة التكملة:

- ابن كثير(701هـ-774هـ)، (التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل).

لقد سبق الترجمة للمؤرخ الحافظ ابن الكثير آنفا واختص بالدراسة لموسوعته التاريخية "البداية والنهاية"، وابن كثير من الأئمة الحفاظ الذين يشهد لهم بالعلم فقد اهتم بالسيرة فألف "الفصول في اختصار سيرة الرسول" وفي مصطلح الحديث "اختصار علوم الحديث" وفي الحديث النبوي "جامع المسانيد والسنن"، وفي الجرح والتعديل كتب " التكميل"، والذي عني بالدراسة فهو يحتوي على عشرة مجلدات جمع فيها ابن كثير ما تفرق في غيره من كتب التراجم[1]، ويشير ابن كثير في كتب الحديث الخاصة به أنه قد جمع بين كتابين "التهذيب" للمزي و" ميزان الاعتدال" للحافظ الذهبي وزاد في تحرير الجرح والتعديل عليهما في كتاب وأسماه "التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل" وهو أنفع شيء للفقيه البارع وكذا للمحدث[2].

والواضح من هذا أن ابن كثير قد جمع بين كتابي " تهذيب الكمال" وميزان الاعتدال" مع زيادة التحرير عليهما أما عن منهج ابن كثير في كتابه "التكميل" فإننا نجده حاول استقصاء تراجم: "تهذيب الكمال" والزيادة فيها بالإضافة إلى أنه زاد بعض التراجم التي لم توجد في تهذيب الكمال[3]. ولأن ابن كثير لم يذكر لنا سبب تأليفه لكتاب التكميل فإنه ومن خلال قراءتنا للكتاب توضحت لنا أسباب تأليفه وهو أن ابن كثير اهتم كثيرا بالترجمة للمحدثين سواء من عصره أو قبله إلا أنه أضاف الى كتابه علم "الجرح والتعديل" والذي يقوم على معرفة صفة من تقبل روايته ومن ترد روايته وما يتعلق بذلك من قدح وجرح وتوثيق وتعديل.

---

[1]- ابن كثير، **التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل**، تح: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، اليمن، ط1، (14432هـ-2011م)، ج1، ص14.

[2]- ابن كثير، **التكميل في معرفة الضعفاء والمجاهيل**، ص ص13-14.

[3]- نفسه، ص17.

- ابن شاكر الكتبي (764هـ)، "فوات الوفيات والذيل عليها".

واسمه محمد بن شاكر بن أحمد ابن عبد الرحمن الكتبي الدراني الدمشقي، أما عن تاريخ ولادته فغير معروف، عاصر المؤرخ الصفدي بل إنه مات في نفس العام الذي مات فيه أي عام(764هـ) وابن شاكر كان ورّاقا يشتغل بتجارة الكتب والتي دفعت به إلى عالم التأليف والإنتاج الفكري، فقدم لنا المعرفة في موسوعتين نفيستين وهما "عيون التواريخ"، والتي تقع في ستة مجلدات، وأما الثانية والتي ارتبطت باسمه دائما فهي "فوات الوفيات" والتي طبعت في مجلدين[1] وقد ذيل به على كتاب "وفيات الأعيان "لابن خلكان ويشير الكتبي في مقدمة كتابه إلى الأسباب التي دعته إلى تأليف "فوات الوفيات" بقوله " فلما وقفت على كتاب "وفيات الأعيان" لابن خلكان رحمه الله وجدتها من أحسنها وضعاً لما اشتمل عليه الفوائد الغزيرة والمحاسن الكثيرة غير أنه لم يذكر أحدا من الخلفاء ورأيته قد أخل بتراجم بعض فضلاء زمانه وجماعة ممن تقدم على أوانه ولم أعلم أذلك لذهول عنهم أو لم تقع له ترجمة أحد منهم[2] فأحب الكتبي بذلك أن يستدرك عليه ما فاته ويذيل على كتابه إلا أن هذه الغاية يوجد فيها شيء من المغالطة لأن ابن خلكان قد صرح بأنه لم ينوي أن يترجم للخلفاء وأنه لن يدرج في كتابه إلا من عرف سنة وفاته ولم يكن إغفاله الكثيرين (لذهول عنهم أو أنه لم تقع له ترجمة أحد منهم) كما يدّعي الكتبي وإنما جرى ذلك خضوعا لمنهج محدد[3].

ويشير محقق كتاب "فوات الوفيات" الدكتور إحسان عباس من خلال دراسته وتحقيقه للكتاب أن الكتبي سار على منهج الصفدي في كتابه "الوافي بالوفيات" الذي ذيل به هو الآخر على كتاب ابن خلكان "وفيات الأعيان" كما أنه اختار منه عددا من التراجم (ربما لم تزد على ستمائة) وجعل مصنفه في أربعة مجلدات وتولى ما ينقله بعض الاختصار ولم يزد شيئا من المعلومات التاريخية والإخبارية، وإنما زاد في بعض المختارات الشعرية وأثر منها بشكل واضح في بعض التراجم وحاول

[1]- مصطفى الشكعة، المرجع السابق، ص741.

[2]- ابن شاكر الكتبي(764هـ)، **فوات الوفيات والذيل عليها**، تح: د. احسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، (د-ت)، ج1، ص10.

[3]- ينظر: الملحق رقم (1).

حقا ألا يكرر ما أورده ابن خلكان من تراجم، إلا أن ذلك لم يكن مطرداً[1] لكنه يعد من أرقى كتب التراجم التي ألفت في زمن التدهور الذي شهدته الكتابة التاريخية في القرون الأخيرة.

- صلاح الدين الصفدي(696-764هـ/1296-1363م) "الوافي بالوفيات".

خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي ولد في صفد بفلسطين سنة(696هـ) وإليها نسبته وتعلم في دمشق ولع بالأدب وتراجم الأعيان تولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب، ثم وكالة بيت المال في دمشق وتوفي فيها عام(764هـ)[2]، وله زهاء من المؤلفات منها كتاب "الشعور بالعور" في تراجم العور وأخبارهم، و"نكت الهميان" ترجم به فضلاء العميان وكتاب " ألحان السواجع" وكتاب التذكرة المشهور "التذكرة الصفدية"، وهي مجموع شعر وأدب وتراجم وأخبار وكتابه في التاريخ "الوافي بالوفيات"، وقد أشار إليه الحافظ ابن حجر العسقلاني حين ترجم للصفدي في "الدرر الكامنة" فقال: (جمع الصفدي تاريخه الكبير الذي سماه "الوافي بالوفيات" في نحو ثلاثين مجلدة على حروف المعجم وأفرد منه أهل عصره في كتاب سماه "أعوان النصر في أعيان العصر" في ست مجلدات[3].

ترجم فيه للخلفاء الراشدين وأعيان الصحابة والتابعين والملوك والأمراء والقضاة والعمال والوزراء والقرّاء والمحدّثين والفقهاء والمشايخ والصلحاء وأرباب العرفان والأولياء والنُحاة والأدباء والكُتّاب والشعراء والأطباء والحكماء والأولياء والعقلاء وأصحاب النحل والبدع والآراء وأعيان كل فن اشتهر ممن أتقنه من الفضلاء من كل نجيب ومجيد ولبيب مفيد[4] وقد وقفنا على أسباب تأليف مؤرخنا لهذا الكتاب والذي صرّح فيه عن ذلك بقوله" جمع المؤرخون رحمهم الله تعالى أخبار تلك الأخبار، ونظموا سلوك تلك الملوك وأخروا عقود تلك العقول وصانوا فصول تلك الفصول فوقفت على تواريخ ماتت أخبار في جلدها ودخلت بتسطيرها الذي لا يبلى جنة خلدها ووجدت نفسي تستروح إلى مطالعة أخبار من تقدم ومراجعة آثار من خرب ربع عمره وتهدم... فأحببت أن أجمع من تراجم الأعيان من هذه الأمة الوسط، وكملة هذه الملّة التي مدّ الله تعالى لها الفضل الأوفى وبسط

---

[1]- الكتبي، **فوات الوفيات**، ج1، ص ص4-5.

[2]- الزركلي، **الأعلام**، ج2، ص315؛ السبكي، **طبقات الشافعية**، ج10، ص5.

[3]- ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج2، ص87.

[4]- صلاح الدين الصفدي(764هـ)، **الوافي بالوفيات**، تح: أحمد الأرناؤوط-تركي مصطفى، درا إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، (1420هـ-2000م)، ج1، ص27.

ونجباء الزمان وأمجاده ورؤوس كل فضل وأعضاده وأساطين كل علم وأوتاده وأبطال كل ملحمة وشجعان كل حرب وفرسان كل معركة لا يسلمون من الطعن ولا يخرجون عن الضرب ممن وقع عليه اختيار تتبعي واختباري ولزني إليه اضطرام تطلبي واضطراري ما يكون متسقا في هذا التأليف دره، منتشقاً من روض هذا التصنيف زهره[1].

أما عن المنهج الذي اتبعه الصفدي في كتابه "الوافي بالوفيات" فإنه قد جمع فيه من التراجم ملا يعد، ورتبها على وفق حروف المعجم، كما أنه اعتمد كثيرا على مؤلفات المؤرخين الثقات الذين سبقوه، واستقى من مؤلفاتهم أمثال: ابن خلكان وخاصة كتابه" وفيات الأعيان" والذهبي كتابه "تاريخ الإسلام" وغيرها من المؤلفات والتي لا يتيسر لنا الوقت لذكرها وقد غلب على الصفدي الأسلوب الأدبي في السرد والإسهاب في الخبر ورواية الحوادث وتراجم الرجال وتميز أيضا باعتماده على الجناس والإكثار من استعماله[2].

وعليه فإن هذا الكتاب يعد منفعة للمحدث والأديب والرغبة فيه للبيب والأريب فإنه من أرقى كتب التراجم وأعلاها قيمة ذلك أنه جاء على ترتيب معجمي وضم من التراجم مالا يعد ولا يحصى.

- بعض كتب التذييل[3]:

يمثل التذييل ظاهرة هامة في التأليف العربي الإسلامي وهي في نفس الوقت اتصال المعلومات واستمرار تراكم المعرفة في مجال معين، وهذا النوع من تكامل النصوص وآليات التأليف وتواصلها عبر القرون والبلدان ليس له نظير في الحضارات الأخرى في رسوخه وكثافته وتقاليده فقد اعتمد المؤلفون التذييل سواء عن النصوص أو الكتب، فالذيل يبدأ من النقطة التي توقف عندها النص الأصلي[4] وقد قام بعض المؤلفين بتذييل على كتبهم.

---

[1]- الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج1، ص27.

[2]- نفسه، ج1، ص18.

[3]- فاروق فوزي، المرجع السابق، ص272.

[4]- كمال عرفات النبهان، **التواصل والصلة أخلاقيات وآليات في التأليف والنصوص العربية الإسلامية**، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، (د-ط)، (د-ت)، ص8.

- ابن النجار(643هـ)، " ذيل تاريخ بغداد ".

- أبو شامة المقدسي(665هـ)، "الذيل على الروضتين".

- ابن الدبيثي(637هـ)، "ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد".

- اليونيني(726هـ)، "ذيل مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي".

- ابن رجب الحنبلي(790هـ)، "الذيل على طبقات الحنابلة".

- ابن الدمياطي(ت749هـ)، "المستفاد من تاريخ بغداد".

- محمد بن عماد الدين ابن كثير (ابن المؤلف)، "ذيل البداية والنهاية".

- ابن الفوطي(723هـ)، "ذيل تاريخ ابن الساعي (الجامع المختصر)".

- الذهبي(748هـ)، وقد ذيل على كتابه (تاريخ الإسلام)، كما ذيل على كتابه (دول الإسلام) وكتابه (سير الأعلام).

- ابن الوردي(749هـ)، "تتمة المختصر في أخبار البشر".

- سبط ابن العجمي(849هـ)، ذيل على ميزان الاعتدال للذهبي، في كتاب بعنوان "نقد النقصان في معيار الميزان".

وقد وقع اختيارنا على بعض نماذج لمؤلفات ذيّل بها أصحابها سواء على كتبهم، أو مؤلفات المؤرخين السابقين وذلك من أجل معرفة دوافع انكبابهم على مؤلفات غيرهم، دون الإتيان بالجديد في الموضوع أو المنهج. ومن أمثلة هؤلاء نذكر:

- ابن النجار(578-643هـ/1183-1245م)، "ذيل تاريخ بغداد".

هو محب الدين أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل محمود بن أبي محمد الحسن بن هبة الله بن محاسن بن هبة البغدادي المعروف بابن النجار، ولد سنة(578هـ) ببغداد[1]، وخلال حياته أثرى المكتبة

[1]- الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج23. ص131.

الإسلامية بالعديد من المصنّفات نذكر منها: كتاب " القمر المنير في المسند الكبير" و"المختلف والمؤتلف" ذيل للكامل لابن ماكولا.

اختلفت الآراء حول عدد مجلدات "تاريخ ابن النجار"، فذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ (أنه خطط في ستة عشر جزءا)[1]، وذكر السبكي في طبقات الشافعية، والكتبي في فوات الوفيات، (أنه خطط في ثلاثين جزءا)[2]. جمع فيه ابن النجار بين "ذيل تاريخ بغداد" لأبي سعد عبد الكريم السمعاني المتوفى (562هـ)، وبين "ذيل تاريخ بغداد" لأبي عبد الله محمد بن سعيد الدبيثي المتوفى سنة(637هـ) فقد أخرجه ابن النجار على أوسع نطاق من سابقيه "إذ حاول التعرف على أفاضل الناس ممن اشتهروا بالتحديث والدين، كان من بينهم علماء وجهاء، حُفّاظ وقرّاء ووعاظ، وخطباء وشيوخ وأئمة وأمراء وخلفاء، وأصحاب المناصب ممن شهد لهم الخاصة والعامة بتبحرهم في العلم"[3]، فقد جمع فيه أهم العلماء الذين درسوا في بغداد، وأضاف العلماء الذين لم يذكرهم البغدادي، ولم يكتف بالبدء من حيث انتهى الخطيب البغدادي، اشتمل ذيل تاريخ بغداد لابن النجار على 1357 ترجمة، بدأت باسم عبد المغيث بن الزهير، وانتهت باسم الفضل بن محمد[4]. وهو بذلك يعتبر من المصادر المهمة للمؤرخين اللاحقين.

- أبو شامة المقدسي(596-665هـ/1202م-1267م) "الذيل على الروضتين".

واسمه الكامل عبد الرحمن بن إبراهيم بن عثمان العلامة الحافظ شهاب الدين أبوشامة المقدسي، ولد سنة(596هـ)، وكانت وفاته سنة(665هـ)[5] برع في الحديث والفقه ودرس فيهما واختصر تاريخ دمشق، وله كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، فقد جمع فيه كثيرا من الحوادث الواقعة زمن الدولتين النورية والصلاحية والذي انتهى بالسنة التي توفي فيها صلاح الدين

[1]- الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج4، ص 212.

[2]- الكتبي، **فوات الوفيات**، ج2، ص522.

[3]- ابن النجار محب الدين أبو عبد الله بن هبة الله بن المحاسن(ت643هـ)، **ذيل تاريخ بغداد**، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، (د-ت-ن)، ج16، ص1.

[4]- نفسه، ص3.

[5]- الكتبي، **فوات الوفيات**، ج2، ص ص269-270.

الأيوبي، وهي سنة(589هـ)[1]، وقد ذيل عليه في كتاب آخر سماه ذيل الروضتين، والذي يقول عنه صاحبه"... ثم خطر إلي أن أجمع كتابا يتضمن كثيرا من الحوادث بعد ذلك إلى آخر ما تدركه حياتي ... وابتدأت من سنة تسعين التي تتلو سنة وفاة صلاح الدين، فذكرت فيها وفيما بعدها ما فاتني ذكره في كتاب الروضتين سنة بعد سنة، وهو مرتب على السنين[2].

وأخيرا يمكن القول أنه رغم تسمية تلك الكتب بالذيل أو الصلة أو التكملة، إلا أنها تعتبر كتبا جديدة تحمل عنوان جديدا تعبّر على استمرارية التأليف عبر القرون، ويمثل التراث الحضاري للمسلمين.

المطلب الثالث: ظاهرة الشروح والمختصرات.

كان من مميزات القرن الخامس انتشار ظاهرة الشروح والاختصارات ووضع الحواشي، فقد مست هذه الظاهرة كل كتاب مطوّل ووضع الشروح والحواشي تقييدات أو تعليقات لتوضيح الغامض. يقول ابن خلدون: ثم جاء آخرون بإفراط الاختصار وذهبوا إلى الاكتفاء بأسماء الملوك والإقصار، مقطوعة عن الأنساب والأخبار، موضوعة عليها أعداد أيامهم بحروف الغبار ... كما فعله ابن رقيق في ميزان العمل، ومن اقتفى هذا الأثر من العمل، وليس يعتبر لهؤلاء مقال ولم يعد لهم ثبوت ولا انتقال لما ذهبوا بالفوائد، وأخلو بالمذاهب المعروفة للمؤرخين[3].

ولأن أغلب تلك الشروح والمختصرات مجردة من الابتكار وتضعف الهمة لدى طلاب العلم حيث أنها تحول بينهم وبين أمهات الكتب القديمة كما أدت هذه الظاهرة ببعض الباحثين إلى اتهام الحضارة الإسلامية بالضعف والسلبية ولم تقتصر ظاهرة الشروح والمختصرات على كتب التاريخ فقط بل مست أمهات كتب الفقه وبذلك فقد كان هذا النزوع إلى التقليد بعيدا عن الاجتهاد وقد عد علماء المالكية خاصة أن من رام هذا العمل فإنه يعد مقلدا، نظرا لقصر الجهود وتحديد المقصود في

[1]- شهاب الدين أبو شامة المقدسي(ت665هـ)، **الذيل على الروضتين النورية والصلاحية**، راجعه د عزت العطار الحسيني، دار الجيل، بيروت، ط1، (1947م)، ج1، ص3.

[2]- المقدسي، **الذيل على الروضتين**، ص3.

[3]- ابن خلدون، **المقدمة**، ص5.

حل عبارات مصنفات المتقدمين وشرح ألفاظها، وتوضيح مبهمها مما يؤدي إلى موت روح الاجتهاد[1].

ومن خلال البحث والتنقيب في كتب التاريخ، فإننا أحصينا عددا من المؤلفات التي شرحها أو اختصرها أصحابها أو غيرهم من العلماء، والتي سنقدمها في هذا العرض الموجز:

- ابن الكازروني(697هـ)، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس.

- الذهبي(748هـ)، المختصر المحتاج إليه في تاريخ ابن الديبثي وهو في 3 مجلدات، وقد اختصر أيضا كتاب تهذيب الكمال للمزي، وسماه تهذيب التهذيب، ومختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ القرشي في ثلاثة أجزاء، وقد اختصر الذهبي كتابه تاريخ الإسلام في كتاب بعنوان المختصر من تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأمم[2].

- الأربلي(717هـ)، خلاصة الذهب المسبوك في سير الملوك.

- أبو شامة(665هـ)، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، وقد اختصره مرتين الأول في عشرين مجلد والثاني في عشر مجلدات[3].

- السبكي(771هـ)، الطبقات الشافعية الوسطى، وقد اختصر المؤلف نفسه كتابه طبقات الشافعية الكبرى في عشر مجلدات.

- ابن حجر العسقلاني(852هـ)، تهذيب التهذيب، وقد اختصر تهذيب الكمال للمزي ابن القاضي شهبة (851هـ)، وله عدة مختصرات وتلخيصات منها (المنتقى من كتاب العبر في خبر من غبر) للذهبي.

---

[1]- فوزي رمضاني، **إسهامات المالكية في الحياة العلمية في مصر والشام خلال العصر المملوكي (648هـ-923هـ/ 1250م-1517م)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، الجزائر، (1437هـ-1438هـ/ 2016م-2017م)، ص ص385-386.

[2]- فاروق فوزي، المرجع السابق، ص274.

[3]- الكتبي، **فوات الوفيات**، ج2، ص270.

وهنا نشير إلى أن ظاهرة الشروح والمختصرات ليست دائما مذمومة كما يعتبرها البعض، واتهم أصحابها بالجمود الفكري والعلمي، بل على العكس من ذلك فإن مؤلفيها ممن يشهد لهم بالنبوغ والتفوق في العلم، فعمدوا إلى تأليف كتب اختصروا فيها ما تضمنته المؤلفات التاريخية الضخمة، ولم يُخلّو بمضامينها واعتمدوا فيها مناهج تاريخية، وهذا ما جعل هذه المختصرات ذات قيمة كبيرة، وكان الغرض منها التسهيل على طلبة العلم البحث في أمهات الكتب.

وفي الأخير نوجز القول بأن الكتابة التاريخية عند المسلمين شهدت في القرون الأخيرة مرحلة تدهور وتراجع ككل، من حيث المنهج و الفكر و الأسلوب، كل ذلك يرجع إلى جملة من الأسباب ويأتي في مقدمتها الدمار الذي سببه كل من المغول من الشرق، وحروب الفرنج من الغرب، ناهيك عن الصراعات الداخلية في مختلف أقاليم العالم الإسلامي، والنزاعات المذهبية، ومن الأسباب أيضا والتي أوردها الكثير من المؤرخين المعاصرين لهذه الفترة قصة حرق التتر لمكتبة "بيت الحكمة"، وهذا ما ولّد في نفوس المؤرخين المسلمين من غيرة دينية ونزعة قومية على إرث الحضارة الاسلامية، فعملوا على جمعه في مصنفات، ولذلك يمكن اعتبار هذه الفترة "مرحلة تراجع ثم إحياء". فرغم التكملات والذيول والمختصرات التي شهدها العصر في المؤلفات التاريخية، إلا أنه لا يمكننا تخطي وإنكار مجهودات هؤلاء العلماء، والذين لا يزال صيتهم لامع وإنتاجهم مميز، فقد أنجبت هذه الفترة أيضا مؤرخين يشهد لهم بأعمالهم المتميزة.

الفصل الثاني:

مظاهر التجديد في التدوين التاريخي القرن(5هـ-9هـ/11م-15م)

بعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد سنة (656هـ-1258م)، تدهورت الأوضاع السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، في معظم أقاليم المشرق الإسلامي، وبالتالي امتد هذا التدهور إلى الكتابة التاريخية وانتقلت من بلاد الشام إلى مصر، في خضم هذا التدهور ظهر عدد من المؤرخين اللامعين، اهتموا بالتاريخ على أنه علم قائم بذاته، وبذلك جاءت مؤلفاتهم مختلفة عن سابقيهم من المؤرخين من حيث المنهج والموضوع، ومن حيث الإبداع الفكري وثقابة النظر والقدرة على استيعاب كل تجربة في التأليف التاريخي عند المسلمين ونقدها، وبذلك مثل هؤلاء مرحلة جديدة في التدوين التاريخي.

المبحث الأول: التجديد في مناهج البحث التاريخي لدى المؤرخين المسلمين.

المطلب الأول: منهج النقد والتحليل.

إن مسألة التدوين التاريخي عند المسلمين أضحت اهتمام الكثير من الباحثين وكثيرا ما نجد اهتمامهم يرتبط بالحديث عن مناهج المسلمين في كتابة التاريخ بالحديث عن تدوين التاريخ والهدف منه، ذلك أن كتابة التاريخ عند المسلمين اتخذت أساليب مختلفة، تمثلت في مناهج عامة في تدوين التاريخ، وكان من أبرزها:

النقد التاريخي فهو منهج قديم عند المسلمين، وذلك منذ أن اهتم المسلمون بتدوين الحديث فوضع المحدثون القواعد والتي مهدت لنشأة منهج النقد، حسب اتباع منهج الإسناد القائم على الجرح والتعديل، وبذلك استعار علم التاريخ من علم الحديث أداة نقدية عملية استخدمت في تنقية وغربلة الأخبار التاريخية، تكامل هذا المنهج النقدي منذ القرن الثالث الهجري حيث تم نقد الروايات النبوية أولا، ثم التاريخية لأصالتها[1].

وخلال البحث في المدونات التاريخية خلال القرون الهجرية الأولى والتي تمثلت مادتها في الروايات التاريخية التي نقلها الإخباريون والتي تخللتها الخرافات والأساطير، فاجتهد كبار المؤرخين وعملوا على تمحيص وتصفية الأحداث، وبذلك كان النقد التاريخي ينصب على اتهام الكتب السابقة بخلط الغث والسمين، وإيراد الأساطير والإسرائيليات والمفتريات، وربما اتهم المؤرخ بالميل والتحزب ونحو ذلك[2]. ومع تطور المعرفة التاريخية وتعاظم المادة، وتنامي الوعي التاريخي لدى المؤرخين المسلمين، فإن النقد التاريخي تجاوز نقد الإسناد إلى نقد المتون بوسائل علمية مضبوطة[3]، وعليه فإن "النقد التاريخي" يتم في مرحلتين:

---

[1]- محمد السلمي، المرجع السابق، ص156.

[2]- صائب عبد الحميد، المرجع السابق، ص68.

[3]- بولبدة حسين، **نقد الأثر والرواية التاريخية بين مناهج المحدثين ومناهج المؤرخين**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، اشراف د-رابح ولاد ضياف كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة 8ماي 1945، قالمة، (1440-1441هـ/2019-2020م)، ص63.

المرحلة الأولى: النقد الظاهري (الخارجي).

ويسمى أيضا "نقد التحصيل"[1] ويتعلق بصدق الأصل هل هو صحيح كما كتبه صاحبه أم مزيف، أم طرأ عليه تغيير وتحريف؟ ومن هو مؤلفه؟ أهو معروف أو مجهول؟ وكونه معروفا، أهو معروف بالصدق، أم الكذب والتزوير. فكثيرا ما نجد بعض المصادر تبدو أصول تاريخية، وهي في الحقيقة كتابات مزورة منسوبة إلى أعلام من المؤرخين، كما أن بعض المصادر تعرضت الكثير من نصوصها إلى التحريف بسبب النسخ، وفي بعض الأحيان التزوير من قبل النُسّاخ والمحققين[2]. فهذا يوحي إلى ضرورة نقد المصدر، فمن غير المعقول أن نصدق ونأخذ واقعة ما في أوراق شخص لم يعرف عنها شيئا، ولم يكن في وسعه أن يعرف عنها شيئا، ولهذا ينبغي أن نتساءل أولا، حينما نكون أمام وثيقة ما: من أين أتت؟ ومن مؤلفها؟ وما تاريخها؟ فالوثيقة التي لا يعرف شيء عن مؤلفها وتاريخها ومكان كتابتها، وبالجملة مصدرها، هي وثيقة لا تفيد شيء[3].

ويذكر عبد الرحمن بدوي "أن الأداة الرئيسية لنقد المصدر هي التحليل الباطني للوثيقة موضوع البحث، من أجل استخراج كل الدلائل التي تفيد في تقديم ما يعرفنا بالمؤلف وعصره والبلد الذي عاش فيه، فعند دراستنا للوثيقة واستنباط المعلومات منها لابد لنا من فحص خط الوثيقة، وفحص لغتها، ومعرفة صيغتها إذا كانت ورقة رسمية أم لا، كل هذا التحليل الداخلي للوثيقة يقدم لنا أفكار كافية للدلالة على مصدرها، والمقارنة المنهجية بين مختلف عناصر الوثيقة المحللة، والعناصر المناظرة في الوثائق المشابهة لها والمعروف مصدرها، قد مكنت من الكشف عن عدد كبير من المزيفات، ومن تحديد الظروف التي أنتجت فيها معظم الوثائق الصحيحة[4].

المرحلة الثانية: النقد الباطني.

ويراد منه الوصول إلى الحقائق التاريخية من خلال أصول الأصول التاريخية، وذلك من خلال معرفة معنى النص التاريخي، وما المراد منه، وما هي العوامل التي أثرت في صياغته، وهل كانت

---

[1]- عبد الرحمن بدوي، **النقد التاريخي**، وكالة المطبوعات، الكويت، ط4، (1982م) ص86.

[2]- صائب عبد الحميد، المرجع السابق، 50.

[3]- عبد الرحمن بدوي، المرجع السابق، ص65.

[4]- نفسه، ص ص67-68.

الظروف كافية بحيث مكنت صاحب الأصل من نقل الواقعة التاريخية على حقيقتها، كل ذلك يتم من خلال تحليل الكلام تحليلا إيجابيا، من حيث تفسير ظاهر النص، وإدراك المعنى الحقيقي للنص ومعرفة غرض المؤلف. والمستلزم في تحليل الوثيقة، نقد إيجابي للتفسير والتأكيد ما أراد المؤلف قوله والنقد السلبي لازم لضبط ومراقبة أقوال المؤلف، قد يورد بعض الأكاذيب والأهواء فقد يكون المؤرخ دَوّن حوادث التاريخ بتلاعب وتحريف وتزوير، وذلك تحت تأثير عوامل ذاتية تنطوي عليها ذات المؤرخ[1]، فلا بد لنا من استنطاق الوثيقة دون أن نفكر فيما كان في ذهن المؤلف.

- أبرز العلماء الذي اعتمدوا النقد لمتون الأخبار: برز العديد من المؤرخين المتميزين والمتمرسين في نقد الروايات التاريخية، وتمحيصها لما كانوا يتمتعون به من علم غزير وقدرات علمية مبدعة منهم: المسعودي، الخطيب البغدادي، وابن عساكر، وابن الجوزي، والذهبي، ابن الأثير، وابن كثير، ابن خلدون، وغيرهم.

- منهج النقد عند المسعودي(ت346هـ)، ويعد من مزايا كتبه، والنقد التاريخي عند المسعودي يتسع لكل جوانب التاريخي: المؤرخين، والنصوص، والدوافع نحو الكذب، وأسباب الخطأ وأهمية المشاهدة[2]، فالمؤرخون في نظره بين مجيد ومقصر، ومسهب ومختصر، أصاب البعض وأخطأ البعض، وكل قد اجتهد بغاية إمكانه[3]، أما في نقد النصوص التاريخية فهو يرى أنه لابد من المطابقة بينها فلذلك أثر كثير، كاشف عن علم ومعرفة وحس تاريخي كبير... ففي المقارنة بين أخبار متضاربة في موضوع واحد، يذكرها مع كافة مصادر كل واحد منها...وحين يتعارض لديه خبران في بعض المواضيع يذكرهما بأسانيدهما[4].

أما عن النقد التاريخي عند الذهبي(784هـ)، وهو من أكثر المؤرخين الحفاظ توسعا في نقد وتمحيص الأحاديث والروايات التاريخية، فقد طبق منهج النقد الحديثي التاريخي في كتابه سير "أعلام النبلاء" على كثير من الشخصيات التي ترجم لها، ولم يحصره في المحدثين فقط، وتوسع في النقد توسعا

---

[1]- صائب عبد الحميد، المرجع السابق، ص 56 فما بعد.

[2]- نفسه، ص203.

[3]- أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي(ت346هـ)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط5، (1293هـ-1972م)، ج1، ص12.

[4]- صائب عبد الحميد، المرجع السابق، ص205.

كبيرا، حتى أنه نقد ومحص مئات الروايات إسنادا ومتنا، وانتقد أيضا المحدثين والفقهاء في روايتهم للموضوعات في مصنفاتهم وسكوتهم عنها، كأبي نعيم الأصفهاني والخطيب البغدادي، وعبد الرحمن الأصفهاني والذي وصفه بأنه كان حاطب ليل في مصنفاته، يروي الغث والسمين[1].

- ابن كثير(ت774هـ)، وهو كغيره من المؤرخين تميز بروح نقدية تمحيصية عالية، فمن ذاك نقده لأهل الأهواء، فقال هؤلاء رووا أحاديث مختلفة، وأخبارا موضوعة تناقلوها فيما بينهم، وإذا دعوا إلى الحق أعرضوا عنه، وقالوا: "لنا أخبارنا ولكم أخباركم، ثم قال: ونحن نقول لهم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين[2] حاكم العديد من أخبار التاريخ وفقا للموازين التي تقوم عليها رؤيته كما نقد الكثير من الأحاديث معتمدا قواعد الجرح والتعديل لتعزيز مواقفه[3].

وذكر إبن كثير عند تطرقه لوفاة البغدادي قصة محاولة اليهود إسقاط الجزية عنهم بعقد مزور في عقد لخليفة العباسي القائم بأمر الله، واستعداء وزير الخليفة للخطيب البغدادي ليستشيره في أمرها، فما كان من البغدادي إلى أن فند هذه الوثيقة بدلائل تاريخية[4] وإيراد إبن كثير لهذه الوثيقة لم يكن سوى إظهار لفضل البغدادي وإيرادها كنموذج للنقد والتحليل التاريخي ليستفيد منها القارئ والباحث في التاريخ.

- ابن خلدون(808هـ) وعند الحديث عن هذا المؤرخ الفذ الذي يعتبر أن التاريخ علم وأعطى لهذا العلم حقه، من خلال تأليف مقدمته الشهيرة، (في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلماع بمغالط المؤرخين)[5]. ولأن علم التاريخ (في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول...تتساوى في فهمه العلماء والجهال، فهو في باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يعد في علومها وخليق)[6].

---

[1]- خالد كبير علال، **المرويات التاريخية عند المسلمين (أساليب النقد...وظاهرة الوضع فيها)**، مبرة الآل والأصحاب، الكويت، ط1، (2010م)، ص ص26-27.

[2]- ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج7، ص247.

[3]- صائب عبد الحميد، المرجع السابق، ص234.

[4] - ينظر الملحق رقم (2).

[5]- ينظر الملحق رقم (3).

[6]- ابن خلدون، **المقدمة**، ص6.

إن العمل التاريخي لا يكون بمجرد سرد الأخبار وتسطيرها، بل انه يكتسب قيمته كعلم من خلال البحث في أسباب الوقائع والأحداث، وما بينها من علاقات، والكشف عن أسباب نشأة الدول

وأسباب تقدمها، وعوامل توقفها ثم ضعفها وانهيارها[1].

من خلال تلك الاعتبارات التي قدمها ابن خلدون لعلم التاريخ، فإن منهجه وفكره التاريخي بات واضحا فالتاريخ عنده علم يعتمد على النقد والتعليل والتحليل، ففي الجزء الخاص بنقد التاريخ من المقدمة نجد ابن خلدون يلح على عمل خاص للعقل وهو: النقد. فحقيقة التاريخ عنده (أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال، مثل التوحش، والتأنس، والعصبيات، وأصناف التغلبات للبشر بعضها على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال[2].

ويشير خالد كبير علال إلى أن المحدثين والمؤرخين قد تساهلوا في النقد وهذا التساهل لا يعني قبول الرواية عن المعروفين بالكذب وساقطي العدالة، وإنما قصد العلماء بالتساهل إمرارا أو قبول رواية من ضعف ضبطه، بسبب الغفلة أو كثرة الغلط أو التغيير والاختلاف ونحو ذلك، أو عدم اتصال بالسند كالرواية المرسلة والمنقطعة...وممن يشهد لهذا المنهج أن كثيرا من الأخبار التاريخية إنما وردت لنا بأسانيد مقطعة ومعضلة... وأفراد وغرائب، ومع ذلك قبلها كبار المؤرخين كمحمد بن إسحاق، وابن سعد، وخليفة بن الخياط، والطبري وغيرهم ممن جمع بين معرفة الحديث والتاريخ...وبخاصة من المتأخرين، كابن عساكر، والمزي، والذهبي، ومغلطاي وابن حجر والسخاوي[3]. ويرى أيضا أن هذا التساهل والمرونة التي تعامل بها المؤرخون مع الرواية التاريخية أفقدنا ثروة تاريخية هائلة.

---

[1]- ابن خلدون، **المقدمة**، ص4-5.

[2]- نفسه، ص38.

[3]- خالد كبير علال، المرجع السابق، ص14.

المطلب الثاني: المنهج المعجمي:

تساعد المعاجم على معرفة تطور المصطلحات لغويا وتاريخيا، ذلك لما تحتويه من معلومات تاريخية ولغوية، ويرجع اهتمام المسلمين بالمعاجم منذ القرن الأول الهجري، فقد عني المسلمون بمفردات القرآن الكريم وخاصة ما سمي منها بالغريب، ومن الأوائل الذين عنوا بمسألة الغريب فيه، عبد الله بن العباس(ت68هـ)، ويأتي بعد خليل بن أحمد الفراهيدي(ت177هـ)، الذي ألف في النحو، وتلميذه سيبويه والذي ألف أول معجم لغوي عام مكتمل العناصر والأركان في اللغة العربية وهو كتاب العين[1].

وقد حظي التاريخ باستعمال هذا المنهج وهو ما يعرف "بالتاريخ المعجمي"، ظهر لأول مرة التأريخ لأحداث الزمان على الأحرف الأبجدية على يد ابن أبي طي يحي بن حامد النجار الغساني(630هـ)، في كتابه (حوادث الزمان) في خمسة مجلدات، وهذا الكتاب فريد من نوعه لكنه مفقود، ولم يعرف التأليف قبله وفق حروف المعجم إلا في كتب التراجم والبلدان[2]. ومن أبرز من كتب في هذا المجال نذكر ياقوت الحموي والذي قدمت له الدراسة سابقا، ومعجمه في التراجم المشهور وهو "معجم الأدباء"، وقد صنف تراجمه على حروف المعجم[3]، ومعجمه الثاني الذي رتب فيه البلدان وفق حروف المعجم وهو "معجم البلدان"[4] وتعد معاجمه من أهم المصادر التاريخية، لما احتوته من معلومات تاريخية، كما أن طريقة الترتيب وفق حروف المعجم سهلت عملية البحث في ثنايا الكتب التاريخية. ولم تقتصر هذه المعاجم على التراجم والبلدان وإنما شملت علوم أخرى مثل اللغة والأدب، ولعل أبرز المعاجم اللغوية التي ظهرت عند المسلمين نذكر:

[1]- دغيش ياسمينة، **تنمية الرصيد المعجمي لتلاميذ السنة الأولى ثانوي من خلال كتاب المشوق في الأدب، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر**، إشراف د مزاري زينب، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، (2022م)، ص19.

[2]- شاكر مصطفى، المرجع السابق، ص280.

[3]- ينظر: ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج1، ص8.

[4]- ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج1.

- معجم ابن منظور(ت711هـ-1311م)[1]، الموسوم بعنوان "لسان العرب"، كان عالما في اللغة عمل بديوان الإنشاء بالقاهرة وتولى القضاء في طرابلس، ألف مصنفات عديدة أشهرها (لسان العرب)، ويعد من أهم المعاجم في اللغة العربية حيث تضمن على معلومات مهمة من كتب اللغة المعروفة قبله، وقد ذكر في مقدمته:

"أما بعد فإن الله سبحانه وتعالى قد كرّم الإنسان، وفضّله بالنطق على سائر الحيوان، وشرّف هذا اللسان العربي بالبيان على كل لسان شرفا أنه به نزل القرآن وإنه لغة أهل الجنان... وأني لم أزل مشغولا بمطالعات كتب اللغات والاطلاع على تصانيفها وعلل تعاريفها، ورأيت علمائها بين رجلين، أما من أحسن جمعه فإنه لم يحسن وضعه، وأما من أحسن وضعه فإنه لم يجد جمعه، فلم يفد حسن الجمع مع إساءة الوضع ولا نفعت إجادة الوضع مع رداءة الجمع...". فقد استشهد ابن منظور في معجمه بآيات من القرآن الكريم، وبالأحاديث النبوية.

_ الفيروز آبادي (729-817هـ/1329-1415م)[2] من فطاحلة اللغة والأدب اشتهر بمعجمه المسمى (القاموس المحيط)، وفي ذلك يقول "...وأسميته القاموس المحيط لأنه البحر الأعظم، ولما رأيت إقبال الناس على صحاح الجوهري وهو جدير بذلك، غير أنه فاته نصف اللغة أو أكثر إما بإهمال المادة أو بترك المعاني الغريبة النادرة، رأيت أن يظهر للناظر بادئ ذي البدء فضل كتابي هذا عليه فكتبت بالحمرة المادة المهملة لديه في سائر التراكيب تتضح المزية بالتوجه إليه، ولم أذكر إشاعة للمفاخر بل إذاعة لقول الشاعر: (كم ترك الأول للآخر).

ويعتبر من أهم المعاجم اللغوية المعول عليها، والمرجوع إليها، فقد جمع بين دفتيه ما تفرق من شوارد اللغة، وضم فيها ما تبعثر من نوادرها.

المطلب الثالث: المنهج العلمي (الاهتمام بتاريخ كعلم مستمر).

لقد اهتم المسلمون بالعلوم والمعارف منذ فجر الرسالة المحمدية، ذلك أن الإسلام رفع مكانة العلم والعلماء والدليل على ذلك ما جاءت به النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، ولأن الله

[1]- ابن منظور (ت711هـ)، **لسان العرب**، دار المعارف، القاهرة، ط1، (د-ت)، ص7.

[2]- الزركلي، **الأعلام**، ج7، ص146.

عز وجل قدس العلم فكان أول ما نزل على نبيه قوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذي خلق* خلق الإنسان من علق* اقرأ وربك الأكرم* الذي علم بالقلم* علم الإنسان ما لم يعلم)[1].

والإسلام بدوره حث على طلب العلم والتماس منافعه فيما يخدم الفرد والمجتمع من عبادات ومعاملات، وعلى إثر هذا فقد قسم العلوم إلى قسمين علوم نقلية التي تشمل كل من القراءات والتفسير والفقه والحديث وعلم الكلام والأدب، وقد قسم ابن خلدون العلوم العقلية كالنحو واللغة والمنطق والفلسفة وعلوم مقصودة لذاتها ويقصد بها التفسير والحديث والفقه أما العلوم العقلية كالطب والكيمياء والرياضيات والفلك وغيرها من العلوم، وبما أن الدين هو الباعث الأساسي لازدهار الحركة العلمية لدى المسلمين، فقد شهد المسلمون في القرن الرابع الهجري نهضة علمية شهد لها التاريخ. يقول الدكتور سارطون مؤرخ العلم الشهير (أن العرب كانوا أعظم معلمين في العالم في القرون الثلاثة: الثامن والحادي عشر والثاني عشر للميلاد)[2].

وطوال هذا التطور العلمي المستمر فقد وقف المسلمون على عدة مناهج لدراسة العلوم وللوصول إلى المعرفة العلمية وكان من ضمنها المنهج العلمي للنظر العقلي ويسميه الغزالي بمنهج "التفكير" ويحدث إذا غلب نور العقل على أوصاف الحس وهنا يستغني العالم بقليل من التفكير على كثير من إدراكات الحواس، ويتطلب المنهج العلمي للنظر العقلي من الباحث المسلم أو المفكر أن يعمل على تمحيص الحقيقة وعدم التأثر بالمقررات السابقة، ولا مقررات ذاتية لا برهان عليها ولا بمجرد الظن، وهو منهج يحث العقل على طلب الدليل في كل اعتقاد[3] ويوافق هذا ما طرحه ابن خلدون(ت808هـ)، حين ألح على عمل خاص للعقل وهو: النقد فالعقل مهمته الأولى النقد وبذلك يتخلص الباحث من التقليد.

شهد المشرق الإسلامي بداية من القرن الخامس إلى القرن السابع الهجريين تقهقرا في شتى المجالات، والذي سببته كل من غزو المغول والحروب الصليبية وحروب الاسترداد في المغرب، زيادة إلى التعصب والانقسامات المذهبية والجمود الفكري واضطهاد العلماء، وفي القرن نفسه شهدت الكتابة

---

[1]- سورة **العلق**، الآية 5.

[2]- سماح بلعيد، **المنهج العلمي عند المسلمين مع الإشارة الى مساهمة العلامة ابن خلدون**، مجلة حقول معرفية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 2، المجلد 2، (2021م)، ص20.

[3]- نفسه، ص23.

التاريخية تدهورا كبيرا في مواضيعها ومناهجها، لكن تغيرت تلك الأحوال مع مشارف القرن الثامن والتاسع الهجريين، وتغيرت الرؤية للتاريخ، بينما كانت الكتابة التاريخية خاضعة للمدارس الوضعية التي أسسها المؤرخون الأوائل.

وإننا في هذا العرض الموجز سنعرض لبعض المؤرخين الذين اهتموا بالتاريخ علم قائم بذاته ولأن التاريخ موضوع مستمر ومستقل لذاته فإنه غدا في هذه الفترة موضوعا للكتابة حوله والبحث في محاوره، وأهميته وأساليب الكتابة فيه فكتب كل من ابن خلدون(ت808هـ) مقدمته في أهمية التاريخ وحقيقته، وكتب بعده محمد الكافيجي(ت879هـ) كتاب "المختصر في علم التاريخ"، وأعقبه السخاوي(ت902هـ)، بكتابه "الإعلان بتوبيخ لمن ذم التاريخ"، الذي يتميز بنظرته الشمولية لعلم التاريخ، ثم أعقبه السيوطي(ت911هـ) بكاتبه "الشماريخ في علم التواريخ".

-المنهج العلمي عند ابن خلدون(731-808هـ/1332-1406م)[1]، ألف كتابه الشهير" العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" في سبعة مجلدات أولها المقدمة وهي من أصول علم الاجتماع، ترجمت هي وأجزاء منه إلى الفرنسية وغيرها[2].

ويعتبر الباحثون في التدوين التاريخي عند المسلمين ومناهج المؤرخين المسلمين ويأتي في طليعتهم فاروق فوزي "أن كتاب "العبر" ومقدمته كان من أهم ما تميزت به الكتابة التاريخية في هذه المرحلة، ذلك أن ابن خلدون أراد أن يدرس كل دولة منذ بدايتها حتى سقوطها على حدة وبذلك خالف كتب التاريخ العام الحولي الذين ساروا على السنين[3] والتاريخ عند ابن خلدون ليس مجرد أخبار تصف الأيام وتسرد ما جرى للدول في الماضي البعيد والقريب، لكن ما يتوجب على الباحث الحقيقي هو طرح التساؤلات التالية: لماذا وقع الحدث بالشكل الذي وقع فيه أو بمعنى آخر ماهي الأحداث والمظاهر السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تتعرض لها المجتمعات البشرية عبر العصور.

---

[1]- عن ترجمته ينظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، ج1، ص71؛ ابن حجر العسقلاني، **رفع الإصر عن قضاة مصر**، ج1، ص33؛ وله ترجمة عند: الزركلي، **الأعلام**، ج3، ص330.

[2]- الزركلي، **الأعلام**، ج3، ص330.

[3]- فاروق فوزي، المرجع السابق، ص295.

ومن خلال قراءة "المقدمة" لابن خلدون، ندرك فضل علم التاريخ وفوائده، كما تطرق ابن خلدون إلى الصفات التي يجب أن يتحلى بها المؤرخ المفكر والتي يحتاجها في تأريخه للأحداث وتعليله وتوضيحه لها وقد عني ابن خلدون بظاهرة "الصيرورة" أو فكرة التطور التاريخي في الحياة الاجتماعية التي فقدها المؤرخون الذين تقدموا عنه أو عاصروه فهو يلاحظ تبدل الأحوال في الأمم والأجيال وتنبه أن لكل جيل أحواله وعوائده التي لا تبقى على وتيرة واحدة وهو في ذلك يقول (ومن الغلط الخفي في التاريخ الذهول عن تبدل أحوال الأمم والأجيال بتبدل الأعصار ومرور الأيام، وهو داء دوي شديد الخفاء إذ لا يقع إلا بعد أحقاب متطاولة...)[1]، فهو بهذا يُذكّر ابن خلدون المؤرخين بعدم قياس الماضي أو النظر إليه بمقاييس الحاضر أو المفاهيم المعاصرة لهم وبذلك يخطئون حين يحكمون على المظاهر التاريخية السالفة وكأنها معاصرة لهم.

ويدرك ابن خلدون مبلغ شمولية المعرفة، ودقة النظر والتثبت من الوقائع ومقارنات الروايات في مصادرها الأصلية، وعدم الاعتماد على المنقول بل لا بد من أن يكون ملما بطبيعة العمران البشري والاجتماع الإنساني وقواعد السياسة " فالتاريخ سياسة الماضي والسياسة تاريخ الحاضر" ولابد من معرفة الماضي ومقارنته بالحاضر وإذا كانت فاعلية العقل عند ابن خلدون تتجلى في ثلاث مستويات متدرجة، العقل التمييزي والعقل التجريبي العقل النظري ومن هذا المنطلق ضبط مؤرخنا حدود المجال الذي يمكن للعقل أن يبحث فيه عن المعرفة العلمية نجده يشير إلى الطريقة التي على العقل أن يتبعها في سبيل امتلاك معرفة صحيحة منطقية وواقعية أي أنه تكلم عن منهج معين عبره فقط أن يكتشف العلوم بالحقائق، وبالتالي يصرح أن المنهج العلمي هو استقرائي يتتبع خصائص الموضوع الذاتية من خلال الملاحظة المباشرة، والخطاب العلمي عنده يكتفي بالتعبير عن المعاني العينية التي ماتزال الصورة الحسية عالقة بها[2]، وبهذا قد أسس ابن خلدون لعلم التاريخ رغم أنه لم يخصص أي كتاب أو رسالة لعلم التاريخ لكن جاء به على موضوعات متفرقة والتي بحث عنها في مقدمته.

- المنهج العلمي عند السخاوي (ت902هـ-1496م)، ويعد كتابه "الإعلان بتوبيخ لمن ذم التاريخ"، ويعد من أهم الكتب التي عالجت علم التاريخ الإسلامي بصفته علما قائما بذاته[3] لقد

---

[1]- ابن خلدون، **المقدمة**، ص44.

[2]- سماح بلعيد، المرجع السابق، ص ص27-28.

[3] _ ينظر الملحق رقم (4)

عرضنا للمؤرخ والمحدث شمس الدين السخاوي في نمط سابق من أنماط التدوين التاريخي والسخاوي مثله مثل ابن خلدون، تميز بحسه النقدي ويرى "فرانزروزنثال" أن الكتاب يمثل منهج التدوين التاريخي عند السخاوي وهو وإن كان قد كتب من وجهة نظر العلوم الدينية إلا أنه يمثل عرضا رائعا وشاملا لعلم التاريخ الاسلامي[1].

وقد قدّم السخاوي مجموعة من التعريفات لعلم التاريخ عند بعض علماء المسلمين، منها: قول الجوهري (التاريخ تعريف الوقت، والتوريخ مثله يقال: أرخت وورخت، وقول الأصمعي: بنو تميم يقولون ورخت الكتاب توريخا، وقيس تقول أرخته تأريخا)[2]، أما عن موضوعه يقول السخاوي: إنه الإنسان والزمان وعن فائدته يقول: وأما فائدته فمعرفة الأمور على وجهها ومن أجل فوائده إنه إحدى الطرق التي يعلم بها النسخ في أحد الخبرين المتعارضين المعتذر الجمع بينهما.

ولم يكتف السخاوي بذلك بل تناول شروط المؤرخ الحق، نذكر منها: العدالة مع الضبط التام الناشئ عنه مزيد الإتقان والتحري سيما فيما يراه في كثير الكلام من جهة المعتنين بسير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومن الشروط أن يكون عالما بطريقة النقل حتى لا يجزم إلا بما يتحققه تجنب التعرض للوقائع المنقصة التمييز بين المقبول والمردود أن يكون عالما بمقادير الناس وبأحوالهم ومنازلهم فلا يرفع الوضيع ولا يوضع الرفيع، ليكون ممثلا لقوله صلى الله عليه وسلم (أنزلوا الناس منازلهم) وبهذا فإن السخاوي يؤكد على مدى ارتباط التاريخ بالعلوم الشرعية لذلك جاءت هذه الشروط التي وضعها مستقاة من العلوم الدينية.

أما عن غاية علم التاريخ يقول "السخاوي": أما غايته فالترجي لرضا الله، فإنه لا يضيع أجر من أحسن عملا والأعمال بالنيات...وعن حكم التاريخ يقول إنه ليس بمطرد في واحد بل منه ما هو واجب إذا تعين طريقا واحدا للوقوف على اتصال الخبر-من سلسلة الرواة-وشبهه ولمعرفة النسخ وللأسباب التي ينشأ عنها التوارث والكفاءة ومن ثم صرح بعضهم بأن عليه مدار الأحكام[3].

---

[1]- السخاوي، **الإعلان بتوبيخ لمن ذم التاريخ**، ينظر: ترجمة فرانز روزنيثال.

[2]- السخاوي، **الإعلان بتوبيخ لمن ذم التاريخ**، ص ص16-17.

[3]- نفسه، ص81.

وقد انتقد السخاوي الذين يذمون التاريخ ولا يقبل ذلك ويقول عنهم (وأما الذامون له فمنهم من خصص ومنهم من عمم، فالمخصصون اقتصروا على من ملأ منهم كتبه بما يرغب عن ذكره مما أدرجناه في التحريم ومنهم من يعمم ويحقر التاريخ ومنهم نسب بعضهم إلى القصور ومنهم من نسب المتعرض منهم للتجريح في الأزمان المتأخرة الى ارتكاب المحرم لكونه غيبة[1].

ويرى الباحثون أن السخاوي كتب كتابه من وجهة نظر العالم المتضلع بعلوم الدين لا من وجهة نظر المؤرخ المحترف وكان هدفه الدفاع عن الثقافة التاريخية ولذلك نلاحظ أنه ركز على تراجم العلماء المختصين بعلوم الدين، أما رأي فرانز روزنيثال فيرى (أن السخاوي عرض علم التاريخ الإسلامي بتطوراته ومشكلاته لمن يعرف كيف يقرأه فهو صورة مضبوطة لإنجازاته النهائية ولمواضع فشله)[2].

- أما محي الدين بن سليمان الكافيجي(ت879هـ-1474م)[3] صاحب الرسالة القصيرة الموسومة (المختصر في علم التاريخ) تكلم فيه عن أهداف علم التاريخ وفوائده محاولا استنباط منهج التدوين التاريخي وكان تعريف التاريخ عند الكافيجي كالتالي (...أما علم التأريخ فهو علم يبحث فيه عن الزمان وأحواله وعن أحوال ما يتعلق به من حيث ذلك وتوقيته)[4] ولم يقف الكافيجي عند التعريف بعلم التاريخ فقط، بل تطرق إلى موضوعه أيضا وفي ذلك يقول(...أما موضوعه فهو أمور حادثة غريبة لا تخلو من مصالح وترغيب وتحذير وتنشيط وتثبيط ونصح واعتبار وبسط وانفعال بحيث يلاحظ فيها ضبطها بتحرير تحديد وتقرير تعيين وتوقيت لغرض صحيح في ذلك...)، الكافيجي مثله مثل ابن خلدون والسخاوي فقد أشار في كتابه إلى الشروط التي لا بد أن تتوفر في المؤرخ وهي أن يشترط في المؤرخ ما يشترط في راوي الحديث من أربعة أمور: العقل والضبط والإسلام والعدالة لكون كل واحد منهما معتمد في أمر الدين..."[5].

---

[1]- السخاوي، **الإعلان بتوبيخ لمن ذم التاريخ**، ص86.

[2]- فرانز روزنيثال، المرجع السابق، ص372.

[3]- الكافيجي، **المختصر في علم التاريخ**، ص9.

[4]- نفسه، ص16.

[5]- نفسه، ص ص19-20.

- جلال الدين السيوطي ولد سنة (849-911هـ)[1] كتب رسالة بعنوان "الشماريخ في علم التاريخ" وقد رتبه في ثلاثة أبواب أولها في مبتدأ التاريخ والحوادث التي أرخت به الناس وثانيها في فوائد التاريخ وهي الأخرى من وجهة نظر دينية أخلاقية وثالها تناول بعض المعارف التاريخية وعن فائدة التاريخ يقول السيوطي (ومن فوائده معرفة الآجال وحلولها وانقضاء العدد وأوقات التآليف ووفاة الشيوخ ومواليدهم والرواة عنهم فتعرف بذلك كذب الكذابين وصدق الصادقين[2]. (أنظر الملحق رقم 5، ص)

وبالتالي قد استطاع هؤلاء بأعمالهم هذه التأسيس لعلم التاريخ ووضعوا له مكانة ونصبا بين العلوم الدينية وغيرها من العلوم فوضعوا له قواعد وأسس يقوم كأي علم وبينوا فوائده وشروط العمل فيه (شروط المؤرخ).

[1]- عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية، مصر، ط1، (1387هـ-1967م)، ج1، ص336.

[2]- السيوطي، **الشماريخ في علم التاريخ**، ص17.

المبحث الثاني: التجديد الموضوعي

المطلب الأول: التأريخ للعامة (الاهتمام بالتاريخ الاجتماعي)

لقد اهتم المؤرخون المسلمون بدراسة التاريخ في جميع جوانبه، الحضارية والسياسية الاقتصادية والاجتماعية، وأفردوا له أجزاء خاصة في مؤلفاتهم وقد خصصنا الدراسة في الجانب الاجتماعي واهتمام المؤرخين بالتأريخ لعامة المجتمع خاصة وأن فترة الدراسة شهدت المجتمعات الإسلامية فيها تغيرات كبيرة.

نظرا للتغيرات التي شهدها المجتمع الإسلامي لفتت أنظار المؤرخين للكتابة عنها فنقلوا بذلك تاريخ هذا المجتمع، من (المهمشين والفلاحين والبسطاء) وإلى دراسة العادات والتقاليد إضافة إلى الظواهر الاجتماعية التي عرفها هذا المجتمع، الذي لعب دورا كبيرا في ظل السياق التاريخي ويواصل المؤرخون الاهتمام بمثل هذه المواضيع حتى أسس ما يعرف "علم الاجتماع" الذي اختص بدراسة المجتمع وقضاياه التاريخية، والدليل على اهتمام المؤرخين "بالتأريخ لعامة المجتمع" نذكر ما نقله إلينا هؤلاء من الأحداث التاريخية الاجتماعية بين طيات كتبهم من أمثال ابن الأثير والمقدسي وياقوت الحموي، والمقريزي(ت845هـ)، الذي أرّخ للمجتمع المصري وقسّم طبقاته إلى سبع طبقات تقسيما تنازليا، فذكر طبقة أهل الدولة وهم الملوك والسلاطين ثم طبقة أهل اليسار من التجار فطبقة الباعة متوسطي الحال من أصحاب المعايش والسوقة وطبقة أهل القلة وهم أهل الزراعات والحرث سكان القرى ثم طبقة الفقراء وهم جل الفقهاء وطلاب العلم فأرباب الصنائع والأجراء وأصحاب المهن وأخيرا ذوو الحاجة والمسكنة أهل السؤال الذين يتكففون الناس ويعيشون منهم[1].

ونجده يذكر أيضا الأزمات الاقتصادية التي أثرت على المجتمع في مصر، مثل غلاء الأسعار الذي حدث سنة(798هـ)، فخشي السلاطين غضب العوام فلجأ بعض السلاطين عند حدوث الغلاء إلى الأمر بجمع الفقراء وذوي الحاجات وتوزيعهم على الأغنياء والأمراء حيث يلتزم كل غني وكل أمير بإطعام عدد معين منهم، وأن سبب الغلاء الذي وقع، هو احتكار سلاطين المماليك لبعض السلع والغلات الهامة مثل التوابل والبخور مما أدى إلى ارتفاع أثمانها ارتفاعا فاحشا، وقد بلغت

[1]- المقريزي، **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، تح: كرم حلمي فرحات، (د-م)، ط1، (1427هـ-2007م)، ص58.

سياسة الاحتكار أشدها على عهد السلطان الأشرف(852هـ-841هـ) [1] ويذكر في سنة(617هـ) أيضا عن غلاء الأسعار في مصر فيقول ان سعر القمح بلغ ثلاثة دنانير كل أردب فكانت هذه السنة من أشق السنين وأشدها على مصر[2].

وما نقله إلينا هؤلاء المؤرخين عن العلاقات التي كانت قائمة بين المجتمع الإسلامي والصليبيين والتي كانت تتسم في أغلب الأحيان بالتعامل الودي على الرغم من الحروب التي كانت سجالا بين الطرفين، ومن أمثلة ذلك أن الملك الصالح قد سمح للفرنج سنة(637هـ) بشراء الأسلحة والذخائر من دمشق، فدخلوا دمشق وحصل بينهم وبين تجارها معاملات[3] وبهذا أخذت مجالات التأثر والتأثير مجراها في ظل هذه الظروف حتى يقال ان الفرنج تأثروا باللغة العربية وصاروا يكتبون بها ويتقنون الكلام بها ومن الأمثلة على ذلك الملك الفرنجي (فريدريك الثاني) الذي كان يتكلم اللغة العربية ويتقن كتابتها وكان أغلب الحوار الذي يتم بين المسلمين والفرنج يكون باللغة العربية، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على مدى تمسك هذا المجتمع بمقوّماته وأخلاقه.

ونظرا للتنوع الاجتماعي الذي اشتمل على أجناس شتى وطبقات مختلفة وأديان وملل متباينة فقد شهد القرن السابع الهجري تزايدا في مظاهر التصوف الذي اتخذ صورة اجتماعية تتمثل في الانصراف عن الحياة الدنيا والابتعاد عن الترف والرضا بالفقر ويبدو أن ذلك كان كرد فعل للإرهاق النفسي والمادي والاجتماعي الذي لحق فئات الشعب الفقيرة في بلاد الشام آنذاك واحتضن ملوك بني أيوب وسلاطين المماليك المتصوفة ودفعوا لهم أجرا يكفيهم السؤال وبنوا لهم الخانقاوات وجعلوا لكل خانقاه شيخا يسمى "شيخ الشيوخ"، وكان الشيخ يقوم على تربية المريدين وهكذا أصبحت الخانقاه مكانا للصوفية يجتمع فيها الفقراء والمعدمون حول الشيخ فيأخذ بهم في طريق صارم من العبادة والذكر ويعلمهم على استعمال رموز معينة لا يعلم مدلولاتها سواهم[4] وفي القرن نفسه ظهرت

[1]- المقريزي، **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، ص57.

[2]- المقريزي، **السلوك**، ج1، ص325.

[3]- نفسه، ص407.

[4]- الكتبي، **فوات الوفيات**، ج1، ص184.

المحاولات للقضاء على المذهب الشيعي الذي أثر سلبا على المجتمع الإسلامي وتم تقوية دعائم المذهب السني في بلاد مصر والشام وأنشئت المدارس في سبيل ذلك لنشر المذهب السني[1].

وقد كان اهتمام المؤرخين في التأريخ للمجتمع أوسع وأشمل من ذلك، فكتبوا عن عادات وتقاليد المجتمع الإسلامي التي كان لبعض المؤثرات دورا هاما في تشكيلها جاءت من جرّاء اختلاط العناصر العربية مع أفراد المجتمع في كل من مصر والشام، أما فيما يخص المناسبات والأعياد الدينية والقومية فقد نقل إلينا المؤرخون البعض منها باعتبارها من مميزات الحياة الاجتماعية، عرف المجتمع في تلك الفترة بكثرة الأعياد الدينية والقومية والمبالغة في إحياء تلك الأعياد أما الأعياد ذات الصبغة الدينية كان الناس يتبادلون التهنئة ويقيمون والولائم ويتصدقون على الفقراء ويبالغون في إظهار السرور[2].

أما في الاحتفالات القومية مثل الاحتفال بوفاء النيل أو تولية سلطان جديد فكان السلطان عادة ما يشق القاهرة في موكب حافل وقد فرشت الشوارع بشقق الحرير وأقام الأمراء القلاع وهي أقواس النصر في طريق السلطان وتتضاعف مظاهر الفرح والبهجة إذا كان السلطان عائدا من الحرب منتصرا إذ يبالغ الأمراء والناس في الزينة ويقوم نائب السلطنة (بإحضار سائر مغاني العرب من أعمال مصر كلها)[3].

وبما أن المرأة تمثل ركيزة المجتمع فقد لعبت دورا كبيرا في الحياة السياسية أو الاقتصادية أو حتى الاجتماعية كونها المربية والقائمة على بيتها لكل هذا حظيت باهتمام المؤرخين فنقلوا لنا من أخبارها ومكانتها في المجتمع الإسلامي خلال العصرين الأيوبي والمملوكي حيث نالت عناية واحترام المجتمع المصري والدليل على ذلك تلقبها بعدد من الألقاب التي نقلها إلينا السخاوي في كتابه الذي خص بالتراجم ومن هذه الألقاب يذكر" الستر الرفيع وخوند وخاتون والجهة الكريمة والجهة الشريفة وبركة الدولة وست الكل وست القضاة وست الستات وست الأهل وست الفقهاء وست التجار[4] كما

---

[1]- سعيد عبد الفتاح عاشور، **مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك**، دار النهضة العربية، بيروت، (د-ط)، (1972م)، ص272.

[2]- السخاوي، **التبر المسبوك**، ص ص13-14.

[3]- المقريزي، **السلوك**، ج1، ص138.

[4]- السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، ج1، ص173.

كان لها دور فعال وبارز في الحياة العلمية والحضارية لا سيما ما يتعلق بعلوم القرآن والحديث، فقد شاركت العلماء وساهمت معهم في إغناء الفكر العربي الإسلامي[1].

وقد حظي المجتمع باهتمام مصادر أخرى من مصادر التاريخ الإسلامي وهي كتب الرحلة حيث دون الرحالة تفاصيل كبيرة كانت أو صغيرة للمجتمع فنقلوا لنا حياة العامة من المجتمع بأسلوب وبدقة كبيرة كما نجد أن كتب الرحالة تذكر طبقات المجتمع والفئة غير مسلمة مثل أهل الذمة الذين لعبوا دورا كبيرا على شتى الأصعدة.

وأخيرا تجدر بنا الإشارة إلى أن اهتمام المؤرخين بالتأريخ للعامة، لم يكن وفق أي نمط من أنماط الكتابة التاريخية، بل جاء ضمن كتب التاريخ العام التي حملت بين طياتها شذرات متفرقة عن الحياة الاجتماعية كما وقد ظهر مؤرخون نظروا إلى المجتمع بأنه الممثل الرئيسي لأحداث التاريخ ومن ذلك نذكر المؤرخ ابن خلدون.

المطلب الثاني: التاريخ النسوي (تراجم النساء)

بينما كانت المرأة قبل الإسلام يُنظر لها نظرة دونية ومهانة بين الأقوام، وأحيانا توأد عند ولادتها، وقد جاء قوله تعالى (وإذا بُشّر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم* يتوارى من القوم من سوء ما بُشّر به أيمسكه على هون أم يدسّه في التراب ألا ساء ما يحكمون*)[2] وقد اختلف هذا الوضع في أنحاء الجزيرة العربية، فكانت هناك نساء سيدات الأقوام لهن مكانة كبيرة في المجتمع العربي، حتى جاء الإسلام وكرم المرأة وأعطى لها حقوقها ولم يفرق بينها وبين الرجل في كثير من الأمور ويأتي في مقدمتها طلب العلم لقوله صلى الله عليه وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) فقد لعبت النساء دورا بارزا في تاريخ الإسلام العلمي والثقافي، ومن هذا المنطلق طرح بعض الباحثين في التاريخ الإسلامي عامة وكتب التراجم خاصة أنه لماذا لم تتوفر تراجمهن في المصادر التاريخية كما توفرت تراجم الرجال؟ وإننا سنحاول من خلال هذه الدراسة الإجابة على هذا التساؤل من

[1]- بلقيس عيدان لويس الربيعي، أسماء علي فهد القيسي، **المجتمع الاسكندري عاداته وتقاليده الاجتماعية في العصر المملوكي (648-923هـ/1250-1517م)**، مجلة التراث العلمي العربي، العدد 1، (2016م)، ص199.

[2]- النحل، **الآية 57**.

خلال التتبع والبحث في بعض مصادر التاريخ الإسلامي العام والكتب التراجم عن عدد النساء اللواتي ترجم لهن في التاريخ.

لقد أولى المؤرخون المسلمون اهتماما كبيرا بتاريخ النساء ووجدت تراجمهن في العديد من المصادر التاريخية والدليل على ذلك ما ذكره الذهبي من خلال ترجمته لابن النجار (ت640هـ)، قال: ابن الساعاتي "اشتملت مشيخته على أربع مائة امرأة"[1] وجاء في ترجمة مسلم بن إبراهيم الإمام الحافظ الثقة مسند البصرة أب عمرو الأزدي (ت222هـ)، أنه روى عن سبعين امرأة[2] وهذا يدل على دور المرأة واهتمامها حتى في مجال رواية الحديث وروى مثل ذلك عن هشام بن عبد الملك الإمام الحافظ الناقد شيخ الإسلام أبي الوليد الباهلي(ت227هـ) أنه روى عن سبعين امرأة[3].

ويواصل المؤرخون اهتمامهم بترجمة للنساء بينما كان يورد المؤرخون تراجمهن في السياق العام للأحداث حتى ظهر آخرون أفردوا لهم كتب تراجم خاصة بهن ومن أمثلة ذلك نذكر: كتاب "السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين" لمؤلفه محمد بن أحمد بن عبد الله الطبري (ت694هـ) يقول في مقدمته (...جمعت فيه ما ورد في مناقب أمهات المؤمنين، مشتمل على كمية عددهن، معرفا كريم محتدهن، مبينا عمو درجتهن، منبها على تفاوت مرتبتهن)[4] فقد ترجم لزوجات الرسول صلى الله عليه وسلم وذكر عددهن كما أرد ترجمة لبناته صلى الله عليه وسلم.

أما المؤرخ ابن عساكر فقد أورد في كتابه "تاريخ دمشق" جزء خصصه في "تراجم النساء"[5] كما تناول أبو الحجاج يوسف المزي (ت742هـ) في كتابه "تهذيب الكمال" أسماء الروايات، كذلك أسماء النساء الراويات عن الرواة، وكتب ابن عساكر عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله (ت620هـ-1223م)، كتاب "الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين"، تناول ابن عساكر زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم إضافة إلى ما ورد فيهن من أحاديث وقد أشار في المقدمة سبب تأليفه

---

[1]- ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج23، ص133.

[2]- نفسه، ج10، ص316.

[3]- نفسه، ص344.

[4]- محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري(ت694هـ)، **السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين**، دار الحديث، مصر، ط1، (د-ت-ن)، ص13.

[5]- ينظر: ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، (تراجم النساء)، ج69، ص3 فما بعد.

لهذا، فقال: "ولما لم أسمع أن أحدا من العلماء صنف شيئا في مناقب أمهات المؤمنين...ولا رغب لجمعه من الناس أحد أحببت أن يكون في هذه الدولة العادلة ذكر مناقبهن عوضا عما مضى من سبهن، وآثرت أن اجمع في ذلك مختصرا..."[1].

وأما المؤلف الآخر الذي وجدت فيه بعض التراجم النساء هو كتاب" الحدائق الغناء في أخبار النساء تراجم شهيرات النساء في صدر الإسلام" لصاحبه أبو الحسن علي بن محمد المالقي المعافري(ت605هـ-1208م) وكان عدد النساء المذكورات تسعا وعشرين امرأة، ثلاثا منهن عابدات وثلاثا شاعرات، وخمس عشرة امرأة لهن صلة برجال مشهورين وثمان منهن جوار مغنيات وغالبية النساء المترجم لهن من القرن الأول الهجري[2].

المطلب الثالث: الجغرافيا والرحلات ودورها في تنشيط حركة التأليف عند المسلمين:

-الجغرافيا

لقد اهتم المسلمون بالجغرافية اهتماما كبيرا وبالغا، وبدأوا بالتأليف فيها منذ عهد مبكر أي منذ أن بدأ اهتمامهم بالتاريخ ذلك أنه عندما نطّلع على مصادر التاريخ نجدها تشير إلى بعض الأقاليم والمسالك والأراضي، وتعد الفتوحات الإسلامية لمختلف البلدان في المغرب والمشرق دافع أساسي في اهتمام المسلمين بالحديث والكتابة في المجال الجغرافي بالإضافة إلى رغبة الحكام إلى معرفة ثروات البلدان المفتوحة وأقاليمها والتعرف على طرقها ومسالكها الى جانب معرفتهم لنوع الأرض صلحية أو عنوية فتبعا لذلك يفرض الخراج أو الزكاة ولعل من أشهر الجغرافيين نذكر:

من الجغرافيين اليعقوبي وكتابه "البلدان" وابن خرداذبة(ت300هـ)، ألف كتابا جغرافيا بدرجة أولى سماه "المسالك والممالك"[3]، والذي قال عنه المسعودي أنه من أهم مصادره فقد تضمن هذا الكتاب التعريف بالأقاليم والبلدان التي زراها كما وقف على وصف الطرق التجارية ومسالكها إبان

[1]- عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر(ت620هـ)، **الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين**، تح: محمد أحمد عبد العزيز، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، 1990م، ص ص41-42.

[2]- أبو الحسن علي بن محمد المالقي المعافري(ت605هـ)، **الحدائق الغناء في أخبار النساء**، تح: عائدة الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1978م، ص12.

[3]- حاجي خليفة، **كشف الظنون**، ج2، ص278.

القرن الثالث الهجري ولم يقتصر على ذكر المسالك فقط بل تحدث عن الممالك القائمة في تلك الحقبة أما الكتاب الجغرافي الذي له نفس العنوان مع كتاب ابن خرداذبة، وهو "المسالك والممالك" لصاحبه الإصطخري اهتم بوصف الأقاليم بالإضافة إلى ذكره للممالك وبأسلوب دقيق كما ظهر في القرن الرابع الهجري جغرافيون مسلمون اهتموا بوصف الأقاليم الإسلامية، المقدسي(ت387هـ)[1] وهو صاحب كتاب " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، وهو خلاصة مشاهداته التي لاحظها خلال أسفاره، إضافة إلى اعتماده على بعض المصادر الجغرافية التي سبقته وغيرهم من الجغرافيين من أمثال ابن حوقل وكتابه "المسالك والممالك" والإدريسي في رحلته الجغرافية "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" والبلخي وكتابه "صورة الأرض".

أما في القرنين الخامس والسادس الهجريين ظهرت معاجم جغرافية ومن أمثلة ذلك نذكر: "معجم البلدان" لياقوت الحموي، والبكري الذي كتب" معجم ما استعجم"، وهو أول معجم جغرافي صدر بالعربية في القرن الخامس[2] فقد نقل هؤلاء الجغرافيون الأخبار والتواريخ والأقاليم والبلدان ورتبوها على حروف المعجم، ويواصل المسلمون اهتمامهم بالجغرافيا فعند مشارف القرن السابع ظهرت موسوعات ذات طابع جغرافي بامتياز تاريخي من الدرجة الثانية فما وصلنا منها موسوعة ابن فضل الله العمري(ت748هـ)، صاحب "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" والذي ذكرناه آنفا والحميري(ت866هـ)[3] وكتابه " الروض المعطار في خبر الأقطار" إضافة إلى موسوعة النويري" نهاية الأرب في فنون الأدب" الموسوعة التاريخية والأدبية والجغرافية.

وبهذا العمل المميز أضاف المؤرخون أنماطا جديدة للتدوين التاريخي وذلك أن معظم الكتب الجغرافية احتوت على أوضاع سياسية واجتماعية وأحداث تاريخية فأحيانا يذكر الجغرافي أثناء تأريخه لإقليم بعض الأحداث التاريخية ومن أمثلة ذلك نذكر ياقوت الحموي في تأريخه لحوادث السيرة النبوية فقد أورد شذرات من الروايات التاريخية المتعلقة بالفترة المكية مثل رضاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ...الخ وفي حديثه عن الخلافة الراشدة ذكر بعض المرويات في ما يتعلق بالفتوحات وحروب الردّة

[1]- عن ترجمته ينظر: الزركلي، **الاعلام**، ج7، ص146.

[2]- فاروق فوزي، المرجع السابق، ص364.

[3]- وهناك اختلاف في تاريخ وفاته بين سنة (866هـ) وسنة(900هـ)، واسمه الكامل محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري، من أهل سبة اهتم بتاريخ وجغرافية الأندلس. ينظر: الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، دار السراج، بيروت، ط2، ص3.

والفتنة الكبرى وعن الخلافة الأموية فقد أرّخ للفتوحات الإسلامية أما الدولة العباسية فقد سجل من تاريخها الكثير من الأحداث التاريخية سواء كانت متعلقة بالجانب السياسي أو الحضاري والعمراني وبهذا تعد كتب الجغرافيا من المصادر المكمّلة لمصادر التاريخ الإسلامي لما تضمنته من معلومات هامة والتي تعد من صميم اختصاص التاريخ وأخرى تاريخية محضة.

- الرحلات:

اهتم المسلمون اهتماما كبيرا بتنظيم الرحلات وكان ذلك لدوافع عديدة منها الحج والتجارة أو حب الاستطلاع والاستكشاف أو السفارة في مهمات رسمية مثل ابن فضلان(309هـ)، الذي أوفد إلى ملك البلغار، وسجل رحلته في كتاب استفاد منه المسعودي والأصطخري وياقوت الحموي أما الرحلات في طلب العلم والتي بدورها ساهمت بشكل أو بآخر في إنعاش الحركة العلمية والفكرية لبلاد المشرق الإسلامي فقد ارتبط التحصيل العلمي بالرحلة ونادرا ما نجد عالما لا يقوم بالرحلة.

وأثناء البحث في مصادر الفترة الأولى للقرون الهجرية فإننا لا نكاد نجد حديثهم عن رحلاتهم سوى قليل، كأن يذكروا مسار الرحلة وكم مدتها وباتت مؤلفاتهم تفتقد لمشاهداتهم في رحلاته وقد أطلق على هؤلاء الرحالة "اسم الرحالة الشفهيين"[1]، بسبب أن معظم رحلاتهم لم يقم أصحابها بتسجيلها، في حين نجد البعض قد دمجوا مشاهداتهم في كتبهم مثلما اليعقوبي والمقدسي والمسعودي الذي يبدأ تاريخ رحلاته سنة(300هـ)، ورحلته الطويلة قطع بها بلاد فارس حتى السند والهند امتدت حتى سنة(304هـ)، وبذلك فإن رحلاته كانت مصدرا له ووفّرت له مالم توفره له المصادر، وابن خلدون هو آخر من رحّالة القرن السابع.

وقائمة الرحالة المسلمين طويلة لا يسعنا المجال لذكرها ونكتفي بذكر روادها:

ولأن الكثيرين يظنون أن جل الرحلات التي دونت مشاهداتها كان أصحابها من المغاربة، ولدحض هذا الظن سنعطي نموذجا عن الرحالة المشارقة في رحلة ناصر خسرو علوي الفارسي من القرن الخامس الهجري/ الحادي العشر الميلادي المتوفى عام 488هـ-1088م وهو صاحب كتاب "سفر نامة" رحل من إيران موطنه الأصلي فزار معظم أقاليم المشرق وخاصة مصر في العهد الفاطمي

[1]- رشا عبد الكريم فالح، **الرحلات ودورها في ازدهار الحركة العلمية في بغداد خلال القرن (الرابع والخامس الهجري)**، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، العدد 2، المجلد 8، (2023م-2024م)، ص ص66-81.

التي أعجب بها وبرخائها[1] متخذا التسجيل على شكل يوميات ومصورا الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والعلمية في الأقاليم التي زارها[2] ويعتبر "سفر نامه" من أهم المصادر في دراسة الحضارة الإسلامية في المشرق في القرن الخامس الهجري أي قبل الحروب الصلبية.

- أما رحلات المغاربة فهي كثيرة ومتنوعة، ولعل أشهرها:

رحلة ابن بطوطة محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي(ت703-779هـ/1304-1377م) الرحالة المغربي الذي كتب عن رحلته في كتاب سماه (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)[3]، وقد استغرقت رحلاته تسعة وعشرين عاما قاصدا البقاع المقدسة، والثانية كانت باتجاه الشمال إلى شبه الجزيرة الإيبيرية (الأندلس) أما الأخيرة فكانت إلى الجنوب من المغرب إلى السودان ومالي فقد دوّن رحلته هذه وتحدث فيها عن البلدان التي زارها والشعوب التي عرفها، متحدثا عن مواقع البلدان والمسافات بينها وعن أحداث من تاريخها وعن العادات والتقاليد السائدة فيها، كما وصف مظاهر العمران وألوان الحضارة.

وبهذا تعتبر هذه الرحلة من أهم المصادر لحد الآن، لأنها جمعت مختلف الأحداث التاريخية والجغرافية وذلك لدقة الأسلوب وأمانة النقل للأخبار.

رحلة ابن جبير (539-614هـ/1144-1217م)، وتأتي رحلته هذه قبل رحلة ابن بطوطة، وقد وسم رحلته بعنوان (تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار)[4] وصف في هذه الرحلة ما مر به من مدن وما شاهده من عجائب البلدان وغرائب المشاهد وبدائع المصانع، وتحدث عن الأحوال السياسية والاجتماعية والأخلاقية لبلاد المشرق وذكر الحروب التي كانت دائرة في المشرق بين الصلبيين والمسلمين حيث تعد من أهم المصادر التي أرخت لفترة الحروب الصليبية، كما نقل إلينا ما كان عليه الأهالي المسلمين والمسحيين من علاقات حسنة في خلال تلك الحروب وكان أسلوبه دقيق فيما نقله وهذا يدل على دقة ملاحظته وسعة علمه.

---

[1]- بشار قويدر، **مناهج التاريخ الإسلامي ومدارسه**، دار الوعي، الجزائر، ط1، (1413هـ-1993م)، ص72.

[2]- ينظر: ناصر خسرو، "**سفر نامة**"، ترجمة يحي الخشاب.

[3]- محمد بن عبد الله ابن بطوطة(ت779)، **رحلة ابن بطوطة**، تح: عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، ط1، (1407هـ-1987م).

[4]- أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير(ت614هـ)، **رحلة ابن جبير**، دار صادر، بيروت، (د-ط)، (د-ت)، ص7.

رحلة ابن رشيد الفهري السبتي (657-721هـ/1259-1321م)، رحالة عالم في الأدب عارف بالتفسير والتاريخ ولد بسبتة وولي الخطابة بجامع غرناطة الأعظم ومات بفاس، رحل إلى مصر والشام والحرمين سنة(683هـ) وصنّف رحلة سماها (ملء العيبة لما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة) وهو في ست مجلدات[1]. ورحلته تختلف عن غيرها من الرحلات من تغييب الطابع الجغرافي، حيث أنه قد غلب عليها الطابع العلمي فقد احتوت رحلته على تراجم الكثير من المؤرخين المشارقة والتي عددها ثلاثة وأربعون عالما[2]، وتحدث عن المؤسسات العلمية في مصر ووقف على طرق وأساليب التعليم فيها كما أثنى وحلى بعض علمائها.

وعليه فإن الرحّالة ابن الرشيد الفهري ساهم إلى حد كبير في التأريخ للحركة العلمية في مصر أثناء إقامته بها، وبذلك أصبحت مصدرا هاما لمؤرخي عصره، قال ابن حجر العسقلاني" وفيه من الفوائد شيء كثير، وقفت عليه وانتخبت منه"[3].

ولنقف عند أهم رحالة في القرن السادس الهجري، وهو الإدريسي(ت560هـ_1166م)، "صاحب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"[4] غلب عليها الطابع الجغرافي حتى أصبحت من أهم المصادر الجغرافية التي يعول عليها في دراسة جغرافية العالم التي زار بلدانه.

وخلاصة القول لما سبق تقديمه هو أن ما شهدته الكتابة التاريخية في القرون الأخيرة من تدهور، ساهم في سطوع نجم المؤرخين المجددين الذين تغيرت نظرتهم التاريخية فابتكروا من أجل ذلك مناهج جديدة لتدوين الأحداث من بينها منهج النقد والتحليل الذي استخدمه هؤلاء المؤرخين من أجل تصفية التاريخ من الشوائب بل وظهرت أنماط جديدة في الكتابة التاريخية على حسب رغبة المؤرخ وولعه، وباتت المادة التاريخية تتواجد في كتب أخرى من التراث الإسلامي مثل: كتب الجغرافيا والرحلات التي بدورها أغنت الباحث ودفعت به للكتابة، بينما زخر القرن التاسع الهجري الخامس

---

[1]- فوزي رمضاني، **دور ابن رشيد الفهري(ت721هـ/1321م) في التأريخ للحركة العلمية بمصر من خلال رحلته "ملء العيبة"**، مجلة دراسات تاريخية، العدد 1، المجلد 10، (1443هـ-2022م)، ص64.

[2]- فوزي رمضاني، المرجع السابق، ص65.

[3]- ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج5، ص369.

[4]- محمد بن محمد بن عبد الله الادريسي (ت560هـ)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، علم الكتب، بيروت، ط1، (1409م)، ج1، ص7.

عشر الميلادي بمؤلفات من نوع آخر اهتم أصحابها بالتاريخ كعلم وأبرزوا ميزاته ومكانته بين سائر العلوم.

الخاتمة

يعتبر التاريخ من أهم المجالات التي اهتم بها العرب قبل الإسلام من أجل حفظ أيامهم وحروبهم "أيام العرب وحروبها" ويحفظون أنسابهم وكانوا يتداولونها جيل عن جيل عن طريق الرواة والقصاص إلا أنها كانت تتخللها بعض الخرافات والأساطير، وما إن جاء الإسلام وتوطّدت أركان العقيدة الإسلامية اهتم المسلمون بالكتابة منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فاهتموا بالقرآن الكريم ودوّنوه على الرقاع كما وجدت صحف في الحديث النبوي، كتبها الصحابة لغرض الحفظ منها والاستذكار، أما في عهد الخلافة الراشدة وبعد جمع القرآن الكريم وتدوين الحديث النبوي تغيّر اهتمام المسلمين وعكفوا على تدوين سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومغازيه وقد اهتم بذلك المحدثون والفقهاء، إلى جانب هذا الاتجاه ظهر اتجاه آخر اهتم ممثلوه بجمع الأخبار والأحداث وهم الإخباريون الذي وضعوا الحجر الأساس لعلم التاريخ.

مثّل القرن الرابع الهجري البدايات الحقيقية للتدوين التاريخي، ومن ذلك تعددت أنماط الكتابة التاريخية فظهر التاريخ العام العالمي الحولي وكُتُب التراجم والطبقات وكُتُب الأنساب والتواريخ المحلية إضافة إلى ظهور الموسوعات التاريخية، وعليه يمكن القول بأن هذه الفترة شهدت زخما هائلا في الكتب والمؤلفات التاريخية وقد سماها فاروق فوزي بمرحلة النضج والاكتمال.

عقب هذه المرحلة تدهور وتراجع كبير فقد شهدت هذه الفترة جمود فكري وتوقف جانب الإبداع والابتكار، حيث أعقب كبار المؤرخين المسلمين مؤرّخون لم يعد لهم عندئذ من هم سوى الانكباب على جهود أسلافهم في التأليف التاريخي فنظروا في كتبهم وتوقفوا عند دراستها ومحاولة تقليدها بل واختصارها أو شرحها وغربلتها من أسانيدها وقد شُهدت في هذه المرحلة ظاهرة الذيول والتكملات، وبذلك أصبحت كتب التاريخ مجرد ذيول وشروح ومختصرات لمؤلفات سابقة إضافة إلى ميلهم لنقل الحوادث والوقائع التاريخية دون نقدها وتمحيصها من الشوائب وأصبح التاريخ مجرد سرد للأحداث كما أنهم لم يولوا أهمية للمصادر التاريخية التي نقلوا منها فأسقطوا الأسانيد وتخلوا عن ذكر مصادر مادتهم التاريخية.

وبموضوعية فإنه لا يمكننا اتهام هؤلاء المؤرخين بالجمود الفكري لأن مؤلفاتهم تشهد لهم، ولأنها باتت منهل المؤرخين ومستسقى الباحثين، إلا أن هذا التدهور والتراجع يمكن إرجاعه إلى مجموعة من الأسباب، فما أصاب البلاد الإسلامية من اضطراب سياسي، وحروب خارجية، كحرب المغول التي

قال خلالها مؤرخنا ابن الأثير (فيا ليت أمي لم تلدني ويا ليتني مت وكنت نسيا منسيا) كل هذا من بشاعتها، وحرب قادها قادة غرب أوروبا بمباركة البابويّة، فيما يعرف بالحروب الصليبية وهي لا تقلّ عن سابقتها بشاعة لما خلّفته من دمار في البلاد الإسلامية.

ولا يمكننا من خلال هذه المرحلة أن نحكم على العصر كله، فإذا كان الغالب عليها التراجع والجمود، لكنّها تحمل في ثناياها سمات مرحلة الإحياء لظهور فئة من المؤرّخين تميزت مؤلفاتهم بالابتكار والإبداع فنبذوا التقليد وأسسوا لمناهج جديدة لدراسة التاريخ ويأتي في مقدمتها منهج النقد والتحليل الذي اعتمده المؤرخون في نقد الروايات التاريخية، وتخليصها من الكذب والخرافات أحيانا، كما احتوت مؤلفاتهم على مواضيع جديدة، وتغيرت اهتماماتهم في الكتابة التاريخية، فلم يعد التاريخ بالنسبة لهم مجرّد نقل للأحداث السياسية والاقتصاديّة والعسكرية، بل اهتموا بأكثر فئة تعرّضت للتهميش في التّاريخ وهي فئة العامّة فصرف بعض المؤرّخين أنظارهم إليها وأعاروهم شيئا من الاهتمام التاريخيّ، ولو في ثنايا الاحداث العامّة خاصّة في الحوادث والأزمات الكبرى وهذا نوع من التّاريخ الانسانيّ الاجتماعيّ.

كما أن "علم التاريخ"، بات موضوعا للبحث من حيث طبيعته وأهميته في أواخر القرون الإسلامية الوسيطة، حيث ظهر مؤرخون كبار، ويأتي في مقدمتهم العلامة ابن خلدون ومقدمته التي جاءت في علم التاريخ، وشمس الدين السخاوي وكتابه "الإعلان بتوبيخ لمن ذم التاريخ"، ومحي الدين الكافيجي ومؤلفه "المختصر في علم التاريخ "وأخيرا السيوطي وكتابه "الشماريخ في علم التاريخ"، كل هذه المؤلفات مثلت الاهتمام بالتاريخ كعلم مستمر وأبرزوا ميزاته ووضعوا قواعده، وبيّنوا مكانته بين سائر العلوم فبمجرّد قراءة عناوين تلك المؤلّفات وإلقاء نظرة في مضامينها نستشفّ مدى تبلور الوعي والفكر التاريخي لديهم، وحجم الأشواط التّي اجتازها البحث والتّدوين التاريخي لدى المسلمين كما يلفت نظرنا إلى وقوف هؤلاء المؤلّفين، على زلاّت التأريخ التي وقع فيها بعض المؤرخين السابقين من جهة، ومن جهة أخرى تدلّ مثل تلك المؤلّفات على حرص أصحابها – أمثال ابن خلدون – على لفت انتباه من يأتي بعدهم من المؤرّخين إلى تلك الزلاّت، وتنبيههم عليها لتفاديها مستقبلا.

الملاحق

الملحق رقم (1)

مقدمة ابن خلكان (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)
لكتابه (وفيات الأعيان)

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الفقير إلى رحمة الله تعالى شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان الشافعي، رحمه الله تعالى:

بعد حمد الله الذي تفرد بالبقاء، وحكم على عباده بالموت والفناء، وكتب لكل نفس أجلاً لا تجاوزه عند الانقضاء، وسوى فيه بين الشريف والمشروف، والأقوياء والضعفاء.

أحمده على سوابغ النعم وضوافي الآلاء، حمد معترف بالقصور عن إدراك أقل مراتب الثناء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مخلص من جميع الآناء، راج رحمة ربه في الإصباح والإمساء، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل الأنبياء وأكرم الأصفياء، والداعي إلى سلوك المحجة البيضاء، صلى الله عليه وعلى آله السادة النجباء صلاة دائمة بدوام الأرض والسماء، ورضي الله عن أزواجه وأصحابه البررة الأتقياء.

هذا مختصر في التاريخ دعاني إلى جمعه أني كنت مولعاً بالاطلاع على أخبار المتقدمين من أولي النباهة وتواريخ وفياتهم وموالدهم، ومن جمع منهم كل عصر، فوقع لي منه شيء حملني على الاستزادة وكثرة التتبع، فعمدت إلى مطالعة الكتب الموسومة

بهذا الفن، وأخذت من أفواه الأئمة المتقنين له ما ألم أجده في كتابه، ولم أزل على ذلك حتى حصل عندي منه مسودات كثيرة في سنين عديدة، وغلق على خاطري بعضه، فصرت إذا احتجت إلى معاودة شيء منه لا أصل إليه، إلا بعد التعب في استخراجه لكونه غير مترتب فاضطررت إلى ترتيبه، فرأيته على حروف المعجم أيسر منه على السنين فعدلت إليه، والتزمت فيه تقديم من كان أول اسمه الهمزة، ثم من كان ثاني حرف من اسمه الهمزة أو ما هو أقرب إليها على غيره، فقدمت إبراهيم على أحمد لأن الباء أقرب إلى الهمزة من الحاء، وكذلك فعلت إلى آخره ليكون أسهل للتناول، وإن كان هذا يفضي إلى تأخير المتقدم وتقديم المتأخر في العصر، وإدخال من ليس من الجنس بين المتجانسين، لكن هذه المصلحة أحوجت إليه.

ولم أذكر في هذا المختصر أحداً من الصحابة رضوان الله عليهم، ولا من التابعين رضي الله عنهم إلا جماعة يسيرة تدعو حاجة كثير من الناس إلى معرفة أحوالهم، وكذلك الخلفاء: لم أذكر أحداً منهم اكتفاء بالمصنفات الكثيرة في هذا الباب، لكن ذكرت جماعة من الأفاضل الذين شاهدتهم ونقلت عنهم، أو كانوا في زمني ولم أرهم، ليطلع على حالهم من يأتي بعدي.

ولم أقصر هذا المختصر على طائفة مخصوصة مثل العلماء أو الملوك أو الأمراء أو الوزراء أو الشعراء، بل كل من له شهرة بين الناس ويقع السؤال عنه ذكرته، وأتيت من أحواله بما وقفت عليه، مع الإيجاز كيلا يطول الكتاب، وأثبت وفاته ومولده إن قدرت عليه، ورفعت نسبه على ما ظفرت به، وقيدت من الألفاظ ما لا يؤمن تصحيفه، وذكرت من محاسن كل شخص ما يليق به من مكرمة أو نادرة أو شعر أو رسالة ليتفكه به متأمله ولا يراه مقصوراً على أسلوب واحد فيمله، والدواعي إنما تنبعث لتصفح الكتاب إذا كان مفنناً.

وبعد أن صار كذلك لم يكن بد من استفتاحه بخطبة وجيزة، للتبرك بها فنشأ من مجموع ذلك هذا الكتاب، وجعلته تذكرة لنفسي، وسميته كتاب "وفيات الأعيان وأنباء

أبناء الزمان مما ثبت بالنقل أو السماع أو أثبته العيان" ليستدل على مضمون الكتاب بمجرد العنوان.

فمن وقف عليه من أهل الدراية بهذا الشأن ورأى فيه خللاً فهو المثاب في إصلاحه بعد التثبت فيه، فإني بذلت الجهد في التقاطه من مظان الصحة، ولم أتساهل في نقله ممن لا يوثق به، بل تحريت فيه حسبما وصلت القدرة إليه.

وكان ترتيبي له في شهور سنة أربع وخمسين وستمئة بالقاهرة المحروسة مع شواغل عائقة وأحوال عن مثل هذا متضايقة، فليعذر الواقف عليه، وليعلم أن الحاجة المذكورة ألجأت إليه، لا أن النفس تحدثها الأماني من الانتظام في سلك المؤلفين بالمحال، ففي أمثالهم السائرة : لكل عمل رجال، ومن أين لي ذلك، والبضاعة من هذا العلم قدر منزور، والمتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور، حرسنا الله تعالى من التردي في مهاوي الغواية، وجعل لنا من العرفان بأقدارنا أمنع وقاية بمنه وكرمه آمين.

إبن خلكان، وفيات الأعيان، المصدر السابق.

الملحق رقم (2)

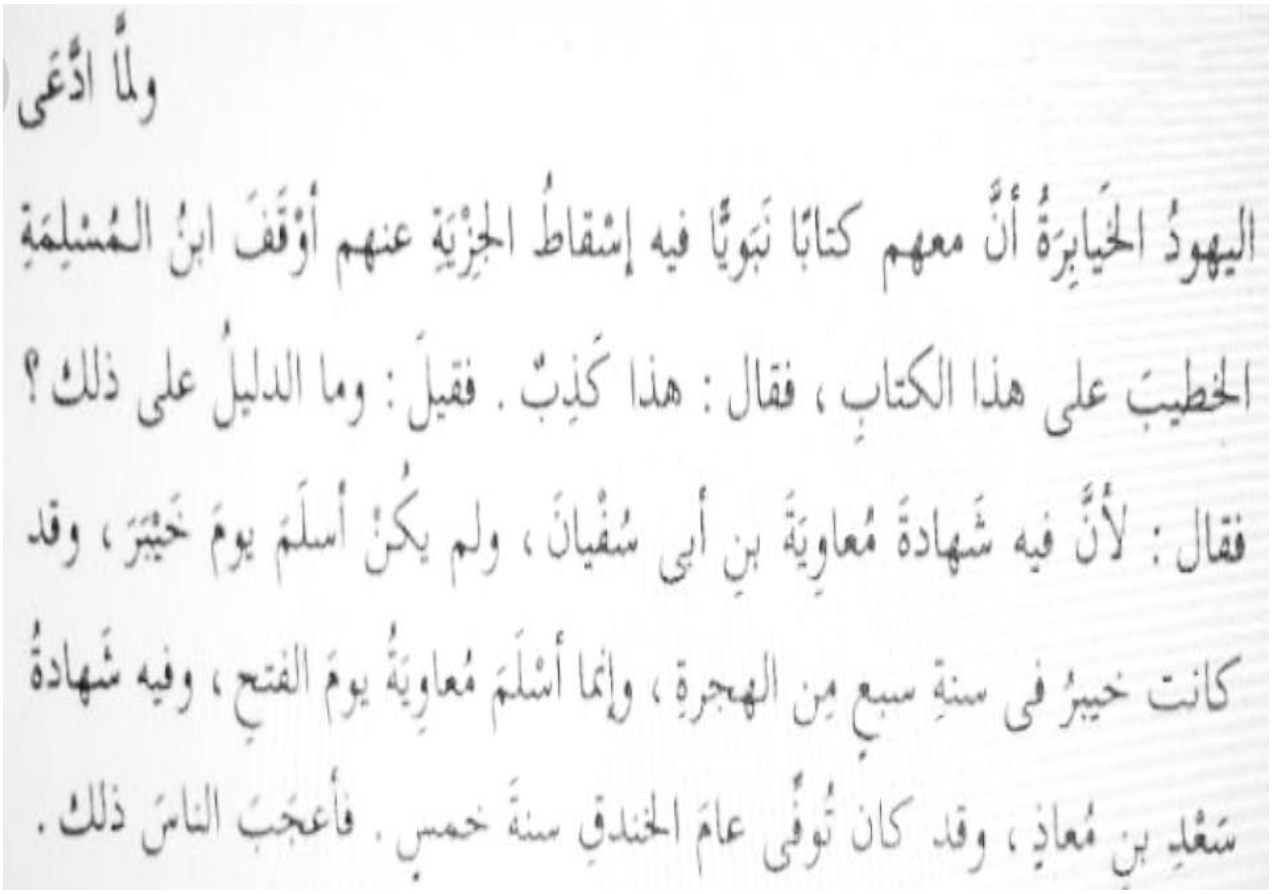

ولمَّا ادَّعَى
اليهودُ الخَيابِرَةُ أنَّ معهم كتابًا نَبويًّا فيه إسْقاطُ الجِزْيَةِ عنهم أوْقَفَ ابنُ المُسْلِمَةِ
الخطيبَ على هذا الكتابِ ، فقال : هذا كَذِبٌ . فقيلَ : وما الدليلُ على ذلك ؟
فقال : لأنَّ فيه شَهادةَ مُعاوِيَةَ بنِ أبي سُفْيانَ ، ولم يكُنْ أسلَمَ يومَ خَيْبَرَ ، وقد
كانت خيبرُ فى سنةِ سبعٍ مِن الهجرةِ ، وإنما أسْلَمَ مُعاوِيَةُ يومَ الفتحِ ، وفيه شَهادةُ
سَعْدِ بنِ مُعاذٍ ، وقد كان تُوفِّى عامَ الخندقِ سنةَ خمسٍ . فأعجَبَ الناسَ ذلك .

إبن كثير، البداية والنهاية، تح، عبد الله إبن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط1، 1419 هـ 1997 م، ج 16 ص 28.

الملحق رقم (3)

مقدّمة ابن خلدون

PROLÉGOMÈNES
D'EBN-KHALDOUN.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على
سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا

PROLÉGOMÈNES d'Ebn-Khaldoun.

يقول العبد الفقير الى رحمة ربّه الغنى بلطفه عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون الحضرمى وفّقه الله تعالى الحمد لله الذى له العزّة والجبروت وبيده الملك والملكوت وله الاسماء الحسنى والنعوت العالم فلا يعزب عنه ما تظهره النجوى او يخفيه السكوت القادر فلا يعجزه شئ فى السموات والارض ولا يفوت انشاءنا من الارض نسما واستعمرنا فيها اجيالا واممًا ويسر لنا منها ارزاقا وقسما تكنفنا الارحام والبيوت ويكفلنا الرزق والقوت وتبلينا الايام والوقوت

... (اما بعد) فان فنّ التاريخ من الفنون التى تتداوله الامم والاجيال وتشدّ اليه الركايب والرحال وتسمو الى معرفته السوقة والاغفال وتتنافس فيه الملوك والاقيال وتتساوى فى فهمه العلماء والجهّال اذ هو فى ظاهره لا يزيد على اخبار عن الايام والدول والسوابق من القرون الاول تنمق لها الاقوال وتصرف فيها الامثال وتطرف بها الاندية اذا غصّها الاحتفال وتودى لنا شان الخليقة كيف تقلّبت بها الاحوال واتّسع للدول النطاق فيها والمجال وعمروا الارض حتى نادى بهم الارتحال وحان منهم الزوال وفى باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكاينات ومباديها دقيق وعلم بكيفيّات الوقايع واسبابها عميق فهو لذلك اصل فى الحكمة عريق وجدير بان يعدّ فى علومها وخليق وان فحول المورّخين فى الاسلام قد استوعبوا اخبار الايام وجمعوها وسطروها فى صفحات الدفاتر

إبن خلدون، المقدمة، تح، كاترمير، المصدر السابق.

الملحق رقم (4)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخنا الشيخ الإمام العلامة، شيخ الإسلام، حامل لواء سنة الأنام، خاتمة الحفاظ[1]، والمحدثين، قامع المفسدين والمبتدعين، أبو الخير محمد ٢٠١
شمس الدين بن الشيخ المفسر[2] المقرىء زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان السخاوي القاهري الشافعي، نفعنا الله والمسلمين بعلومه، وأفاض علينا من بركاته آمين. الحمد لله مصرف الأيام والليالي، ومعرف العباد كثيراً مما سلف في الأزمان الماضية والدهور الخوالي، ومشرف هذه الأمة في سائر الأشهر والأعوام بالضبط التام المتوالي، ومعلم من شاء من العلم العقلي ٢٠٢
والنقلي ما هو أنفس من الجواهر واللآلي، ومفهم الألباء في التعريف بالإنسان والزمان، الطريق المسند المدرج في العوالي بالعبارة الرائقة، والإشارة الفائقة المنعشة للرمم البوالي، والصلاة والسلام على اشرف الخلق المنزل عليه ﴿وكلاّ نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾[3] يعني الخالص للمحانب والموالي صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم من السادات والموالي.

وبعد، فلما كان الاشتغال بفن التاريخ للعلماء من أجل القربات، بل من العلوم الواجبات المتنوعة للأحكام الخمسة بين أولي الاصابات، ولكن لم أر في

السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم علم التاريخ، المصدر السابق.

قائمة المصادر والمراجع

اولا: المصادر

القرآن الكريم

الأحاديث النبوية

1- صحيح البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، 1311هـ.

2- صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1374هـ، 1955م.

المصادر التاريخية الإسلامية

1-الادريسي محمد بن محمد بن عبد الله (ت560هـ-1165م)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، علم الكتب، بيروت، ط1، 1409م.

2-ابن الأثير أبو الحسن علي من محمد الشيباني(ت630هـ1233م)، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تح: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، لبنان، ط01، (د-ت).

3-_____ الكامل في التاريخ، تح: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الأردن، ط1، د-ت.

4-ابن بطوطة محمد بن عبد الله(779هـ-1377م)، **رحلة ابن بطوطة**، تح: عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، ط1، (1407هـ-1987م).

5-ابن التغري البردي جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت874هـ1479م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط01، 1357هـ-1938م.

6-ابن جبير أبو الحسن محمد بن أحمد(ت614هـ-1217م)، **رحلة ابن جبير**، دار صادر، بيروت، د-ط، د-ت-ن.

7-ابن الجوزي محمد جمال الدين أبو الفرج (ت597هـ-1201م)، **المنتظم في تاريخ الملوك الأمم**، تح: محمد عبد القادر عطا-مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1412هـ-1992م.

8-حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله (ت1067هـ-1656م)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، تصحيح وتعليق محمد شريف الدين يلتقايا، رفعت بيلك الكليسي، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1997م.

9-ابن الحبيب الحسن بن عمر(ت779هـ1377م)، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، تح: محمد أمين _ سعيد عبد الفتاح عاشور، مركز تحقيق التراث، القاهرة، 1982م.

10-ابن حجر العسقلاني أحمد بن محمد بن علي (ت852هـ-1449م)، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تح: محمد عبد المعيد ضان، دار المعارف العثمانية، الهند، 1392هـ-1972م.

11- _____ **إنباء الغمر بأبناء العمر**، تح: حسن حبشي، القاهرة، ط1، 1419هـ-1998م.

12- _____ **رفع الإصر عن قضاة مصر**، تح: علي محمد عمر، مكتبة الخناجي، القاهرة، ط01، 1418هـ-1998م.

13-الحموي ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله (ت626هـ-1229م)، **معجم الأدباء**، تح: أحمد فريد الرفاعي، مطبوعات دار المأمون، مصر، ط01، 1357هـ-1938م.

14- **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، ط02، 1995م.

15-الحميري محمد بن عبد المنعم(ت900هـ-1495م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، دار السراج، بيروت، ط2، د-ت-ن، د-م-ن.

16-الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت463هـ-1071م)، **تقييد العلم**، تح: سعد عبد الغفار علي، دار الاستقامة، القاهرة، ط01، 1429هـ-2008م.

17- ـــــــــــــ **تاريخ بغداد**، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1422هـ-2001م.

18-ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ-1406م)، **تاريخ ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تحقيق أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، السعودية، (د.ت).

19-ـــــــــــــ **المقدمة**، تح: كاترمير، مكتبة لبنان، بيروت، ط 01، (1858م).

20-ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت681هـ-1282م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط01، 1367هـ-1949م.

21-الذهبي شمس محمد بن احمد بن عثمان (ت748هـ-1347م)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط02، 1410هـ-1991م.

22- ـــــــــــــ **سير أعلام النبلاء**، تح: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، (1402هـ-1882م.

23- ـــــــــــــ **تذكرة الحفاظ**، تح: عبد الرحمن بن يحي المعلمي، دائرة المعارف العثمانية، ط01، 1374هـ.

24-السبكي تاج الدين عبد الوهاب (ت771هـ-1370م)، **طبقات الشافعية الكبرى**، تح: عبد الفتاح محمود الحلو ومحمود محمد الطناحي دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1236هـ-1918م.

25-السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت902هـ1497م)، **الإعلان بتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ**، تر: صالح أحمد العلى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط01، 1407هـ-1986م.

26- ـــــــــــــ **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ-1992م.

27- ـــــــــــــ **التبر المسبوك في ذيل السلوك**، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط1، د-ت-ن.

28-السيوطي جلال الدين عبد الرحمن (ت911هـ-1505م)، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية، مصر، ط1، 1387هـ-1967م.

29- ـــــــــــــ **الشماريخ في معرفة التاريخ**، تح: عبد الرحمن حسن محمود، مكتبة الآداب، د-ت-ن.

30-أبو شامة شهاب الدين عبد الرحمن المقدسي(ت665هـ-1266م)، **الذيل على الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، راجعه د عزت العطار الحسيني، دار الجيل، بيروت، ط1، 1947م.

27-الصفدي صلاح الدين بن أيبك(764هـ-1363م)، **الوافي بالوفيات**، تح: أحمد الأرناؤوط-تركي مصطفى، درا إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ-2000م.

28-الطبري محب الدين أحمد بن عبد الله(ت694هـ-1295م)، **السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين**، دار الحديث، مصر، ط1، د-ت-ن.

29-الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ-922م)، **تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، بيروت، ط 04، 1991م.31

30-ابن عساكر عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله(ت620هـ-)، **الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين**، تح: محمد أحمد عبد العزيز، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، 1990م.

31-ابن عساكر أبي القاسم بن عبد الله الشافعي(ت571هـ-1176م)، **تاريخ دمشق**، تح: محي الدين أبو السعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1415هـ-1995م.

32-القرطبي ابو عبد الله محمد بن أحمد (ت671هـ1273م)، **الجامع لأحكام القرءان والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان**، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي ومحمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 01، 1427هـ -2006م.

33-ابن القيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي(ت751هـ-1350م)، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، تع: شعيب الأرناؤوط– عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط01، 1418هـ-1998م.

34-الكافيجي محي الدين بن سليمان(ت879هـ-1474م)، **المختصر في علم التاريخ**، عالم الكتب، بيروت، 1990م.

35-الكتبي محمد بن شاكر(764هـ-1363م)، **فوات الوفيات والذيل عليها**، تح: د. احسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، د-ت-ن.

36-ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت630هـ-1373م)، **تفسير القرآن العظيم**، تح: سامي محمد السلامة، دار طيبة لنشر والتوزيع، الرياض، ط 02، 1420هـ – 1999م .

37- _____ **البداية والنهاية**، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، د-ت-ن.

38- _____ **التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل**، تح: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، اليمن، ط1، 14432هـ-2011م.

39-المسعودي أبي الحسن علي بن الحسين بن علي(ت346هـ)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط5، 1293هـ-1972م.

40-المقريزي تقي الدين أحمد بن علي(ت845هـ-1441م)، **المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار**، تح: محمد زينهم-مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، (1998م.

41- ـــــــــــــ **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، تح: كرم حلمي فرحات، (د-م)، ط1، 1427هـ-2007م.

42-المعافري أبو الحسن علي بن محمد المالقي(ت605هـ)، **الحدائق الغناء في أخبار النساء**، تح: عائدة الطيبي، الدار العربية للكتاب، لبيا، 1978م.

43-ابن منظور (ت711هـ)، **لسان العرب**، دار المعارف، القاهرة، ط1، د-ت-ن.

44-ناصر خسرو (ت481هـ-1088م) "**سفر نامة**"، ترجمة يحي الخشاب، ط02، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1993م.

45-ابن النجار محب الدين أبو عبد الله بن هبة الله بن محاسن (ت643هـ-1246م)، **ذيل تاريخ بغداد**، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، د-ت-ن.

46-ابن النديم محمد بن إسحاق (ت385هـ-995م)، **الفهرست**، دار المعرفة، لبنان، د-ت-ن.

47-النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت733هى-1332م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تح: مفيد قميحة، د-م-ن، ط01، د-ت-ن.

48-ابن هشام أبو محمد عبد الملك (213هـ-829م)، **السيرة النبوية**، تح: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط01، 1416هـ-1991م.

ثانيا: المراجع

1-بشار قويدر، **مناهج التاريخ الإسلامي ومدارسه**، دار الوعي، الجزائر، ط1، 1413هـ-1993.

2-حسين نصار، **نشأة التدوين التاريخي عند العرب**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط01، د-ت-ن.

3-عبد الحميد العلوجي، **مؤلفات ابن الجوزي**، شركة دار الجمهورية لنشر والتوزيع، بغداد، ط1، 1385هـ-1965م.

4-خالد كبير علال، **المرويات التاريخية عند المسلمين (أساليب النقد...وظاهرة الوضع فيها**، مبرة الآل والأصحاب، الكويت، ط1، 2010م.

5-خليل إسماعيل الياس، **كعب الأحبار وأثره في التفسير**، دار الكتب العلمية، لبنان، ط01، 2007م.

6-خضر عبد العليم، **المسلمون وكتابة التاريخ (دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ)**، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط1، 1415هـ-1990م.

8-عبد الرحمن بدوي، **النقد التاريخي**، وكالة المطبوعات، الكويت، ط4، 1982م.

9-الزركلي خير الدين(ت1396هـ)، **الأعلام**، درا العلم للملايين، (د-م-ن)، ط15، 2002م.

10-محي الدين عبد الحسين عرار، **التدوين التاريخي في العصر اليوناني وصدر الإسلام**، دار الاعصار العلمي، عمان، ط 01، 1437هـ-2016م.

11-محمد فتحي عثمان، **المدخل إلى التاريخ الإسلام**، دار النفائس، بيروت، ط2، 1992م.

12-محمد بن صامل السلمي، **منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه**، درا الوفاء، المنصورة، ط1، 1408هـ-1988م.

13-منى بنت يوسف بن أحمد الحجاجي، **منهج الكتابة التاريخية عند المقريزي(766-845هـ/1364-1442م) "كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك نموذجا" (دراسة تاريخية)، مركز** البحوث التاريخية، السعودية، د-ت-ن.

14-النبراوي فتيحة عبد الفتاح، **علم التاريخ (دراسة في مناهج البحث)**، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط2، (1416هـ-1996م.

15-عنان محمد عبد الله، **مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري**، مكتبة الأسرة، مصر، ط1، 1999هـ.

16-عبد العزيز الدوري، **نشأة علم التاريخ عند العرب**، مركز زايد للتراث والتاريخ، الامارات العربية المتحدة، 2000م.

17-العطاري جلال يوسف، **حركة التأليف العلمي في مصر والشام (في العصر المملوكي الأول)**، دار الفكر، عمان، ط01، 1432هـ-2011م.

18-علي أومليل، **الخطاب التاريخي (دراسة لمنهجية ابن خلدون)**، دار التنوير، بيروت، ط03، 1985م.

19-عبد العزيز سالم، **التاريخ والمؤرخون العرب**، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، د-ت.

20-فاروق عمر فوزي، **التدوين التاريخي عند المسلمين (مقدمة في دراسة نشأة علم التاريخ وتطوره حتى بداية القرن العاشر للهجرة، السادس عشر الميلادي)**، مركز زايد للتراث والتاريخ، الامارات العربية المتحدة، ط01، 2004م.

21-فرانز روزنيثال، **علم التاريخ عند المسلمين**، تر: صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1403هـ-1983م.

22-سعيد عبد الفتاح عاشور، **مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك**، دار النهضة العربية، بيروت، (د-ط)، 1972م.

23-الشال أحمد خليل، **علم التاريخ عند المسلمين**، دار السقيفة، مصر، ط01، 1433هـ - 2016م

24-شاكر مصطفى، **التاريخ العربي والمؤرخون (دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام)**، دار العلم للملايين، بيروت، ط03، 1983م.

25-الشكعة مصطفى، **مناهج التأليف عند العلماء العرب، دار العلم للملايين**، بيروت، ط6، 1991م25-

26-هاري إلمربارنز، **تاريخ الكتابة التاريخية**، تر: محمد عبد الرحمن، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط01، 1925م.

27-الوافي محمد عبد الكريم، **منهج البحث في التاريخ والتدوين عند العرب**، جامعة قاريونس، بنغازي، ط03، 2008م.

الرسائل الجامعية:

1-بولبدة حسين، **نقد الأثر والرواية التاريخية بين مناهج المحدثين ومناهج المؤرخين**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، اشراف د-رابح ولاد ضياف، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة 8ماي 1945، قالمة، 1440-1441هـ/2019-2020م.

2-الخالدي أنور عوده عواد، **الكتابة التاريخية في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتورا في التاريخ، إشراف د. محمد ضيف الله بطاينة، جامعة اليرموك، 2006م.

3-دغيش ياسمينة، **تنمية الرصيد المعجمي لتلاميذ السنة الأولى ثانوي من خلال كتاب المشوق في الأدب**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، إشراف د مزاري زينب، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، 2022م.

4-طارق محمود أبو هدهود، **ابن الأثير ودوره في الكتابة التاريخية**، رسالة مقدمة لنيل شهادة درجة الدكتوراه في التاريخ، إشراف أ-د عبد العزيز الدوري، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2009م.

5-رمضاني فوزي، **إسهامات المالكية في الحياة العلمية في مصر والشام خلال العصر المملوكي (648هـ-923هـ/ 1250م-1517)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، الجزائر، 1437هـ-1438هـ/ 2016م-2017م.

ثالثا: المجلات والمقالات

1-الربيعي بلقيس عيدان لويس، أسماء علي فهد القيسي، **المجتمع الاسكندري عاداته وتقاليده الاجتماعية في العصر المملوكي (648-923هـ/1250-1517م)**، مجلة التراث العلمي العربي، العدد 1، 2016م.

2-رشا عبد الكريم فالح، **الرحلات ودورها في ازدهار الحركة العلمية في بغداد خلال القرن (الرابع والخامس الهجري)**، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، العدد 2، المجلد 8، 2023م-2024م.

3-رمضاني فوزي، **دور ابن رشيد الفهري(ت721هـ/1321م) في التأريخ للحركة العلمية بمصر من خلال رحلته "ملء العيبة"**، مجلة دراسات تاريخية، العدد 1، المجلد 10، 1443هـ-2022م.

4-كمال عرفات النبهان، **التواصل والصلة أخلاقيات وآليات في التأليف والنصوص العربية الإسلامية**، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، (د-ت-ط)، (د-ت-ن).

5-محمد فقي رسول، **أعجوبة الدهر الشيخ ابن الفضل الله العمري الدمشقي(700هـ-749هـ/1301م-1349م)**، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، العدد 25، 2011م.ز

6-صابة محمد، **علم التاريخ ومجال المعرفة التاريخية وموقف المؤرخين منهما ابن خلدون أنموذجا**، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، العدد 2، تيارت، أفريل2022

7-غادة بنت عبد الله بن عبد الرحمن القبلان، **موسوعية العلماء المسلمين (ابن سمح الغرناطي نموذج)**، مجلة الطويلة لدراسات الأثرية والتاريخية، المجلد 8، العدد 23، 2021م.

8-سماح بالعيد، **المنهج العلمي عند المسلمين مع الإشارة الى مساهمة العلامة ابن خلدون**، مجلة حقول معرفية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 2، المجلد 2، 2021م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
شكر وتقدير.	
إهداء.	
قائمة الرموز والمختصرات.	
مقدمة.	أ-و
الفصل التمهيدي: التدوين التاريخي عند المسلمين قبل القرن الخامس هجري.	
المبحث الأول: نشأة التدوين التاريخي عند العرب المسلمين.	9
1/الوعي التاريخي عند العرب قبل الإسلام.	9
2/التدوين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.	11
3/ التدوين عند المسلمين في عهد الصحابة والتابعين.	15
4/ تطور التدوين التاريخي خلال (القرن 4 الهجري/10 الميلادي).	23
المبحث الثاني: أسباب التدوين التاريخي عند المسلمين ودور الحكام في تنشيط حركة التأليف.	27
1/أسباب التدوين التاريخي عند العرب المسلمين.	27
2/دور الحكام في تنشيط حركة التأليف.	28
الفصل الأول: مظاهر التقليد في التدوين التاريخي بين القرنين (5 هـ -9 هـ/ 11م-15م)	
المبحث الأول: التقليد المنهجي.	33
المطلب الأول: عدم العناية بالمصادر.	33
المطلب الثاني: السردية التاريخية.	34
المطلب الثالث: المنهج الحدثي (التاريخ الحولي).	38
المبحث الثاني: التقليد الموضوعي.	41
المطلب الأول: الاهتمام بالتاريخ العام (ظاهرة الموسوعات).	41
المطلب الثاني: ظاهرة الذيول والتكملة.	56
المطلب الثالث: ظاهرة الشروح والمختصرات.	64

الفصل الثاني: مظاهر التجديد في التدوين التاريخي القرن(5هـ-9هـ/11م-15م)	
المبحث الأول: التجديد في مناهج البحث التاريخي لدى المؤرخين المسلمين.	69
المطلب الأول: منهج النقد والتحليل.	69
المطلب الثاني: المنهج المعجمي.	74
المطلب الثالث: المنهج العلمي (الاهتمام بتاريخ كعلم مستمر).	75
المبحث الثاني: التجديد الموضوعي.	82
المطلب الأول: التأريخ للعامة (الاهتمام بالتاريخ الاجتماعي).	82
المطلب الثاني: التاريخ النسوي (تراجم النساء).	85
المطلب الثالث: الجغرافيا والرحلات ودورها في تنشيط حركة التأليف عند المسلمين:	87
خاتمة.	94
الملاحق.	97
قائمة المصادر والمراجع.	105
فهرس المحتويات.	116